


# دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)

## حقيقتها وتفنيدها من خلال تراث تلميذه ابن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١هـ)

الدكتور

**قدري قدري محمد الديب**

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببورسعيد

جامعة الأزهر

# الملخص باللغة العربية والإنـجليزية

يهدف هذا البحث إلى الرد على دعوى يرددها كل من «السلفية المعاصرة» وبعض المستشرقين المهتمين بالدراسات العقدية، وهذه الدعوى مفادها أن الإمام الأشعري قد مر في أطواره الفكرية بثلاث مراحل: حيث بدأ حياته بانتمائه لمدرسة المعتزلة، ثم ثنى بمدرسة ابن كلاب، ثم ختم حياته بانتمائه لما يقال عنه بأنه «مذهب السلف».

ويزعم أصحاب هذه الدعوى أن أتباع الإمام الأشعري الذين يقال لهم «الأشاعرة»، قد خالفوه في المرحلة الأخيرة له، وأنهم ما تابعوه إلا في مرحلته الوسطى.

فرد البحث على هذه الدعوى مبينًا أن الإمام الأشعري لم يمر إلا بمرحلتين: مرحلة انتمائه للمعتزلة، ثم مرحلة انتمائه لمدرسة ابن كلاب التي لا تخالف في حقيقتها عقيدة السلف.

واعتمد الرد على هذه الدعوى على تراث تلميذ من أخص تلامذة الإمام الأشعري، وهو ابن خفيف الشيرازي، فمن خلال استقراء تراث ابن خفيف الذي يَسَّرَ الله تعالى الاطلاع عليه، فإنه قد تم الاعتماد على نصوص من: «المعتقد الصغير»، و«الاقتصاد»، و«الوصية للمريدين»، و«المقامة الشيرازية»، وما نقله ابن تيمية من كتاب ابن خفيف «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، وبعض ما نقله كُتَّاب التراجم عن ابن خفيف.

وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، حيث تتبع أصل دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري، والردود عليها، كما تتبع من خلال فهارس المطبوعات والمخطوطات ما تركه ابن خفيف من تراث، والنصوص الواردة في هذا التراث والتي تفيد في موضوع البحث، وعمد إلى تحليلها تحليلًا بحيث يمكن توظيفها في موضوع البحث.

هذا، وقد أعطى هذا البحث نبذة مختصرة عن الإمام الأشعري، وعن تلميذه ابن خفيف الشيرازي، ثم فَصَّلَ القول في تراث ابن خفيف.

وبَيَّنَ البحث حقيقة دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري، وعرض الجهود السابقة في الرد على هذه الدعوى.

كما فَنَّدَ البحث دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من خلال تراث تلميذه ابن خفيف، فَبَيَّنَ أن تراث ابن خفيف يُفيد رجحان أن «اللمع» هو المُصَوِّر النهائي لمنهج الإمام الأشعري، وأنه لا منافاة بين «اللمع» و«الإبانة»، ولا تعارض بين أهل الحديث ونُظَّار أهل السنة.

**الكلمات المفتاحية:** الأشعري، ابن خفيف، السلفية، المرحلة، الثالثة.



# The claim of the third stage of Imam Al-Ash’ari (d.: ٣٢٤ AH), its reality and refutation through a heritage of his student Ibn Khafif Al-Shirazi (d.: ٣٧١ AH)

## Abstract:

This research aims to respond to a claim echoed by both "contemporary Salafism" and some orientalists interested in doctrinal studies, and this claim is that Imam Al-Ash'ari went through three stages in his intellectual phases: he began his life by belonging to the Mu'tazila school, then he belonged to the school of Ibn Kilab, then He ended his life with his affiliation to what is called the “Salaf Doctrine.”

The proponents of this claim claim that the followers of Imam al-Ash’ari, who are called “the Ash’aris,” did not follow him in his last stage, and that they only followed him in his middle stage.

The research responded to this claim, indicating that Imam Al-Ash'ari did not pass except through two stages: the stage of his affiliation with the Mu'tazila, and then the stage of his affiliation with the school of Ibn Kilab, which in fact does not differ from the belief of the predecessors.

The response to this claim relied on the legacy of one of the most special students of Imam Al-Ash’ari, who is Ibn Khafif Al-Shirazi. By extrapolating the legacy of Ibn Khafif, which God Almighty made it easy to see, it has been relying on texts from: “Almuetaqad Alsaghir”and “Aliqtisad” and “Alusiat lilmuridin” and “Almuqamat alshiyrazia”, and what Ibn Taymiyyah transmitted from

Ibn Khafif's book "aetiqad altawhid bi'iithbat al'asma' walsafati", and some of what the book of biographers transmitted on the authority of Ibn Khafif.
The research relied on the inductive approach, and the analytical approach, as it traced the origin of the claim of the third stage of Imam Al-Ash'ari, and the responses to it, as well as tracking through the indexes of publications and manuscripts the heritage left by Ibn Khafif, and the texts contained in this heritage that are useful in the subject of the research, and analyzed in such a way that It can be used in the research topic.
This, this research gave a brief overview of Imam Al-Ash'ari, and his student Ibn Khafif Al-Shirazi, then detailed the saying in the heritage of Ibn Khafif.
The research showed the reality of the claim of the third stage of Imam Al-Ash'ari, and presented the previous efforts in responding to this claim.
The research also refuted the claim of the third stage of Imam Al-Ash'ari through the heritage of his student Ibn Khafif, and it showed that the heritage of Ibn Khafif indicates the preponderance that "Al-Lum'a" is the final illustration of the approach of Imam Al-Ash'ari, and that there is no contradiction between "Al-Lum'a" and "Al-Ibana", and there is no contradiction between the people of Hadith And the theorists of the Sunnis.

**Keywords:** Al-Ash'ar, Ibn Khafif, Salafi, Stage, Third.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله، صَلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا، وبعد.

فقد تَفَضَّلَ الله تعالى على هذه الأمة المحمدية بأن جعل فيها علماء مصلحين، وأفذاذًا مجددين، يؤسسون طائفة من الطالبين، الراغبين في خدمة هذا الدين، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ونحسب أن مِن بين هؤلاء العلماء الأفذاذ الإمام أبا الحسن الأشعري، إمام أهل السنة والجماعة الألمعي، المنافح عن معتقدهم بطريق النظر العقلي، إضافة للدليل النقلي.

ولا يخفى على الدارسين أن الإمام الأشعري كان على مذهب الاعتزال مدة من السنين، وَخَبَرَهُ حتى صار فيه من المُقَدَّمين، ثم لاح له اعوجاجه وإفراطه في إعطاء العقل دورًا على حساب الشرع المبين، فقام بمراجعته ونقده، فبان له فساد تأويلات أصحابه لنصوص الشرع الحكيم، ومخالفتهم لمقتضى العقل السليم.

وفي نفس الوقت كان هناك غلاة النصوصيين، الذي وقفوا على ظواهر القرآن الكريم وسنة خير المرسلين، وعن محاولة فهمها كانوا للعقل مُجَنِّبين، غافلين عن نصوص التنزيه لله جل وعلا، فوقعوا في تشبيه الخالق بالمخلوق أو كانوا منه قاب قوسين أو أدنى.

فلم يرضَ الإمام الأشعري لا منهج هؤلاء ولا أولئك، بل جاء بمذهب متين، جامع بين العقل والنقل، دارئ للتعارض بينهما، فخرج ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل: ٦٦].





وســار على دربه جمهرة أهل الســنة من قادة، وفقهاء، ومحدّثين، ومفســرين، وأصوليين، وصوفية، ولغويين، ومؤرخين.

ولكون الأثر الذي أحدثه الإمام الأشــعري كبيرًا، فلم يَسْــلَمْ من الشــبه التي أثارها حوله الخصــوم، ولعل من أشــهرها ما افتراه عليه الأهوازي(١) في كتابه «مثالب ابن أبي بشــر»، مما دفع الحافظ ابن عســاكر(٢) إلى الرد عليه فَأَلَّفَ كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري».

ومن بين ما أثاره الخصــوم على الإمام الأشــعري من مزاعم، أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يمرّ في أطواره بمرحلتين فقط، من الاعتزال إلى السُّــنَّة، بل لا يعتبرون هذه المرحلة التي انتقل من الاعتزال إليها مرحلة سُــنِّيَّة محضــة، ويدّعون وجود مرحلة ثالثة تَخَلَّصَ فيها الإمام الأشعري لما يقولون عنه بأنه مذهب «السُّنَّة والسلف وأهل الحديث».

(١) هو أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأهوازي، من أهل الأهواز، وُلِدَ سنة ٣٦٢هـ، واستوطن دمشق وتُوفي فيها سنة ٤٤٦هـ، قال عنه الذهبي: «كان رأسًا في القراءات، مُعَمِّرًا، بعيد الصيت، صاحب حديث ورحلة وإكثار، وليس بالمتقن له، ولا المُجَوِّد، بل هو حاطب ليل، ومع إمامته في القراءات فقد تُكُلِّمَ فيه وفي دعاويه تلك الأسانيد العالية...وأَلَّفَ كتابًا طويلًا في الصفات فيه كذب، ومما فيه حديث «عرق الخيل»، وتلك الفضائح، فَسَبَّهَ علماء الكلام وغيرهم». (ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٨ ص١٣، وص١٥ (طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط)، والأعلام، للزركلي ج٢ ص٢٤٥ (طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢م).

(٢) هو الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين المعروف بابن عساكر، الدمشقي الملقب ثقة الدين، وُلِدَ في دمشق سنة ٤٤٩هـ، وتُوفي بها سنة ٥٧١هـ، كان محدّث الشام في وقته، ومن أعيان الفقهاء الشافعية، غلب عليه الحديث فاشتهر به، وبالغ في طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره، وكان رفيق السمعاني «صاحب الأنساب» في رحلاته، من مؤلفاته: «تاريخ دمشق الكبير»، و«كشف المغطى في فضل الموطا». (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي ج٧ ص٢١٥:٢٢٣ (طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ، ت: د/محمود الطناحي وزميله)، والأعلام، للزركلي ج٤ ص٢٧٣، ٢٧٤).

وحامل لواء هذه الدعوى هم «السلفية المعاصرة»، قاصدين من هذا جذب الإمام الأشعري إلى ما يقولون عنه بأنه مذهب السلف، والادّعاء على المنتسبين لمذهب الأشاعرة بأنهم انحرفوا عما انتهى إليه إمامهم ووقف.

وقد قوبلت هذه الدعوى بالرفض والتفنيد، من العلماء الأجلاء الغيورين على الإمام الأشعري، وطريقته الجامعة بين النقل والعقل، والتي عليها أتباعه على مرّ طبقاتهم، وجاءت ردودهم في هذا الصدد متنوعة، مستخدمين فيها أساليب متعددة، منطلقين فيها من تراث الإمام الأشعري نفسه، سواء ذلك الذي سطره بيده أو الذي نقله عنه ابن فورك[1] من كتبه وضَمَّنَه كتاب «مجرد مقالات الإمام الأشعري»[2].

ويأتي هذا البحث لِيُقَدَّمَ نوعًا آخر من تلك الردود التي أزعم أنها إضافة لتلك الجهود، حيث إنه يُفَنِّد هذه الدعوى من خلال تراث تلميذ مباشر من تلامذة الإمام الأشعري، وهو الشيخ الكبير أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي.

ولطالما تساءل الباحثون والدارسون عن تراث تلامذة الإمام الأشعري، لعلهم من خلاله يقفون على قول فصل في حقيقة المنهج الذي انتهى إليه الإمام الأشعري، فتأتي هذه الدراسة لتجيب عن هذه التساؤلات، كإسهام في إنهاء هذا الجدل الذي دار بشأن

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، واعظ أصولي متكلم فقيه شافعي، أقام بالعراق مدة أخذ فيها المذهب الأشعري على يد أبي الحسن الباهلي تلميذ الأشعري ، ثم تَوَجَّهَ إلى الري فسمعت به المبتدعة، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم، ففعل، فَبُنيت له مدرسة ودارًا، وأحيا الله تعالى به أنواعًا من العلوم، وتُوفي على مقربة من نيسابور سنة ٤٠٦هـ، فنُقل إليها، من مؤلفاته : «مشكل الحديث وغريبه»، و«الحدود» في الأصول . (ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، ومعه مقدمة وتعليقات الشيخ الكوثري ص٤٣٩:٤٤١ (طبعة دار التقوى – دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م، خدمه: أنس الشرفاوي)، والأعلام، للزركلي ج٦ ص٨٣، ٨٤).

(٢) يذكر الباحث في هذا السياق جهود من أمثال: جهود الشيخ الكوثري، ود/فوقية حسين، ود/حمودة غرابة، ود/حسن الشافعي، والشيخ الغرسي، وغيرها من الجهود التي سَيُفَصِّلُ البحث القول فيها في المطلب الثاني من المبحث الأول.

المراحل العقدية التي مرّ بها الإمام الأشعري، وما يترتب على هذا من إظهار توافق الأشاعرة على مرّ طبقاتهم في الأصول العقدية مع طبقة المؤسس وتلامذته.

وقد جاء هذا البحث بعنوان:

**دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)**

**حقيقتها وتفنيدها من خلال تراث تلميذه ابن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١هـ)**

وقد استخدمتُ في هذه البحث المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي:

- أما عن المنهج الاستقرائي، فقد تتبعتُ أصل دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري، والردود عليها، كما تتبعتُ من خلال فهارس المطبوعات والمخطوطات ما تركه ابن خفيف من تراث، والنصوص الواردة في هذا التراث والتي تفيد في موضوع البحث.

- وأما عن المنهج التحليلي، فقد قمتُ بتحليل النصوص التي استقرأتها من تراث ابن خفيف تحليلًا يُمَكِّن الباحث من توظيفها في موضوع البحث.

هذا، وقد اقتضتْ طبيعة موضوع البحث أن أقسمه إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

**فالمقدمة:** بَيَّنْتُ فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث.

**والتمهيد:** أعطيتُ فيه تعريفًا مختصرًا بالإمام الأشعري وبتلميذه ابن خفيف، وتعريفًا مفصلًا بتراث ابن خفيف.

**والمبحث الأول:** بين يدي دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري والردود عليها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة الدعوى.

المطلب الثاني: حول الجهود السابقة في تفنيد الدعوى.

**والمبحث الثاني:** تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من خلال تراث تلميذه ابن خفيف الشيرازي.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ثلاث حقائق بين يدي تفنيد الدعوى من خلال تراث ابن خفيف.

المطلب الثاني: تراث ابن خفيف يفيد رجحان أن «اللمع» هو المُصَوِّر النهائي لطريقة الإمام الأشعري.

المطلب الثالث: تراث ابن خفيف يثبت أنه لا منافاة بين «اللمع» و«الإبانة».

المطلب الرابع: تراث ابن خفيف يؤكد على أنه لا تعارض بين مدرسة أهل الحديث وبين نُظَّار أهل السنة.

**والخاتمة:** بَيَّنْتُ فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وأخيرًا، أسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، والهدى والرشاد، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الله الكريم.

وما كان من صواب وتوفيق فمن الله تعالى وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله سبحانه ورسوله منه براء.

## التمهيد

يحسن بالبحث قبل الدخول في صلب موضوعه أن يقوم بتعريف موجز بالإمام الأشعري، وكذا بابن خفيف، ثم تعريف مُفَصَّل بتراثه.

### أولًا: تعريف موجز بالإمام الأشعري(١):

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ڤ، ويُلَقَّب بناصر الدين.

قال عنه ابن خلكان(٢): «هو صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب السُّنَّة، وإليه تُنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه»(٣).

وإذا كانت شهرة الإمام الأشعري تغني عن تعريفه كما ذكر ابن خلكان بحق، إلا أنه لا مانع من إعطاء لمحة عن هذا العالم العَلَم، والجبل الأشم.

(١) في ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري يراجع مثلًا: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٥ ص٨٥:٩٠، وطبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٣٤٧:٤٤٤، ومن المعاصرين: أبو الحسن الأشعري، للدكتور حمودة غرابة (طبعة مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، وأعلام وعلماء، للشيخ محمد أبو زهرة ص٢٠٣:٢١٣ (طبعة دار الفتح – عمّان، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ومقدمة تحقيق د/حسن الشافعي لكتاب «اللمع» للأشعري ص٣٢:٨٦ (طبعة مجلس حكماء المسلمين، الطبعة الثانية سنة ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٠م).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، الفقيه المؤرخ الأديب صاحب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، وُلِدَ في إربل سنة ٦٠٨هـ، وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها، وسافر إلى دمشق، فولّاه الملك الظاهر قضاء الشام، وعُزِلَ بعد عشر سنين، فعاد إلى مصر فأقام سبع سنين، ورُدَّ إلى قضاء الشام، ثم عُزِلَ عنه بعد مدة، وَوُلِّي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتُوفي فيها سنة ٦٨١هـ (ينظر: فوات الوفيات، لابن شاكر ج١ ص١١٠:١١٩ (طبعة دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣م، ت: إحسان عباس)، والأعلام، للزركلي ج١ ص٢٢٠).

(٣) وفيات الأعيان، لابن خلكان ج٣ ص٢٨٤ (طبعة دار صادر – بيروت، سنة ١٩٧٠م، ت: إحسان عباس).





وُلِدَ الإمام الأشعري في البصرة سنة ٢٦٠هـ، وعاش فيها أكثر عمره، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها حتى وفاته سنة ٣٢٤هـ على الراجح.

كان أبوه سُنِّيًّا حديثيًّا، وقد أوصى به قبل وفاته إلى زكريا بن يحيى الساجي(١) من فقهاء الشافعية وأهل الحديث، وقد رَوَى عنه الأشعري في كتابه في التفسير أحاديث كثيرة، لكن والدته بعد وفاة أبيه تزوجتْ من أحد مُقَدَّمي المعتزلة ورؤوسهم آنذاك وهو أبو علي الجبائي(٢)، فتأثّر به أبو الحسن وتتلمذ عليه، وأخذ عنه علم الكلام، ولازمه مدة طويلة حتى فارقه لما انتقل إلى مذهب أهل السُّنَّة، وردّ عليه في كثير من كتبه.

وللأشعري شيوخ آخرون غير الساجي والجبائي، من أشهرهم أبو إسحاق المروزي(٣)، الذي كان يأخذ عن الأشعري الكلام ويأخذ منه الأشعري الفقه.

---

(١) هو أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدي الضبي البصري الساجي، محدث البصرة في عصره، كان من الحفاظ الثقات، سمع الحديث من طالوت بن عباد وأبي الربيع الزهراني وعبيد الله العنبري، وغيرهم، وحدّث عنه أبو أحمد بن عدي وأبو بكر الإسماعيلي وعبد الله بن محمد الواسطي، وغيرهم، تُوفي في البصرة سنة ٣٠٧هـ، وهو في عشر التسعين، له كتاب في «علل الحديث» يدل على تبحره، ومن كتبه: «اختلاف الفقهاء». (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٢٩٩:١-٣٠١، والأعلام، للزركلي ج٣ ص٤٧).

(٢) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وُلِدَ سنة ٢٣٥هـ، نسبته إلى جبى (من قرى البصرة)، كان شيخه أبا يعقوب الشحّام، اشتهر الجبائي في البصرة، وله مقالات وآراء انفرد بها في المذهب المعتزلي، تُوفي سنة ٣٠٣هـ، ودُفن بجبى، من مؤلفاته: «تفسير» حافل مطول، ردَّ عليه الإمام الأشعري. (ينظر: طبقات المعتزلة، لابن المرتضى ص٨٠ (طبعة جمعية المستشرقين الألمانية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م، ت: سوسنه ديفلد – فيلزر)، والأعلام ج٦ ص٢٥٦).

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي، فقيه شافعي، تتلمذ على يد ابن سريج، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بالعراق بعده، وكان من أصحاب المزني وشرح مختصره، عاش أكثر عمره ببغداد، ثم ذهب إلى مصر في أواخر عمره، وتُوفي فيها سنة ٣٧٦هـ (ينظر: وفيان الأعيان، لابن خلكان ج١ ص٢٦، ٢٧، والأعلام، للزركلي ج١ ص٢٨).

وقد تتلمذ على يد الإمام الأشعري تلامذة كثر، أخصهم به: ابن مجاهد البصري[١]، وأبو الحسن الباهلي[٢]، وأبو علي السرخسي[٣] الذي تُوفي الإمام الأشعري في داره، وحضر ساعة وفاته، وروى لنا قوله وقتئذٍ: «اشهد علي أنني لا أكفر أحدًا من أهل هذه القبلة؛ لأن الكل يُشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات»[٤]، ثم ابن خفيف الشيرازي الذي يقوم البحث بتفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري اعتمادًا على تراثه.

كان أبو الحسن ذا قلم سيّال، حتى بلغتْ مؤلفاته ما يزيد على مائة، بل أوصلها بعضهم إلى الثلاثمائة، إلا أنه – ويا للأسف – لم يصلنا إلى الآن من هذا الإرث الكبير إلا النذر اليسر، فمؤلفاته التي عثر عليها الباحثون هي: «الإبانة عن أصول الديانة»، و«مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، و«اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع»،

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البغدادي، الفقيه الأصولي المالكي، النظار المتكلم، من أهل البصرة، صحب الإمام الأشعري، وسكن بغداد، فقرأ عليه أبو بكر الباقلاني علم الكلام، تُوفي سنة ٣٧٠هـ، من تصانيفه: كتاب في «أصول الفقه» على مذهب مالك، ورسالة في «الاعتقادات». (ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٤٥، ٣٤٦، والأعلام، للزركلي ج٥ ص٣١١).

(٢) هو أبو الحسن الباهلي البصري المتكلم، أخذ عن الإمام الأشعري علم المنطق، وسمع وتقدم، وكان من أذكياء العالم، مع الدين والتعبد، وكان إماميًا في الأول رئيسيًا مقدمًا، فانتقل عن مذهبهم بمناظرة جرت له مع الإمام الأشعري، واختلف إليه ونشر علمه بالبصرة واستفاد منه الخلق الكثيرون، وممن تخرج عليه: القاضي الباقلاني، والأستاذ الإسفراييني، والأستاذ ابن فورك، تُوفي سنة ٣٤٠هـ (ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٢٧٨، وص٣٤٧، ٣٤٨، وطبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٣٦٨، ٣٦٩).

(٣) هو أبو علي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسي، المقري، الفقيه، المحدث، شيخ عصره بخراسان، وُلِدَ سنة ٢٩٤هـ، قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، وتفقّه عند أبي إسحاق المروزي، ودرس الأدب على أبي بكر بن الأنباري ومحمد بن يحيى الصولي وأقرانهما، وكان من أصحاب الإمام الأشعري في بغداد، وتُوفي سنة ٣٨٩هـ (ينظر: تبيين كذب المفتري ص٣٩٨، ٣٩٩، و طبقات الشافعية الكبرى ج٣ ص٢٩٣، ٢٩٤).

(٤) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٠٤، ٣٠٥.

و«رسالة إلى أهل الثغر»، و«الحث على البحث» أو «رسالة استحسان الخوض في علم الكلام»، و«مسألة الإيمان»(١).

## ثانيًا: تعريف موجز بابن خفيف الشيرازي(٢):

هو محمد بن خفيف بن إسفكشاد الشيرازي(٣)، كُنِّي في صغره بأبي الحسين، إلا أنه عند بلوغه صار يُكنى بأبي عبد الله، وهي الكنية التي اشتهر بها بين أهل العلم.

ولُقِّب بألقاب كثيرة، منها: «شيخ شيراز»، و«شيخ بلاد فارس»، و«الشيخ الكبير»، وهذا اللقب الأخير هو أشهر ألقابه على الإطلاق، حتى إن تلميذه الديلمي(٤) لما أَلَّفَ كتابًا يُدَوِّن فيه سيرة شيخه ابن خفيف عَنْوَنَ له بـ«سيرة الشيخ الكبير».

(١) ينظر في تحقيق مؤلفات الإمام الأشعري: مقدمة تحقيق د/حسن الشافعي لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٥٤:٧٨، وتراث الإمام الأشعري بين المطبوع والمخطوط، لمحمد عُزَيْز شمس، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة» ج١ ص٢٥٧:٢٧٧ (طبعة مركز الأزهر للتأليف والترجمة – القاهرة، دار القدس العربي – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٤م).

(٢) في ترجمة ابن خفيف يراجع مثلًا: سيرة الشيخ الكبير، للديلمي (طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية «تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية» – القاهرة، سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م)، وطبقات الصوفية، للسلمي ص٣٤٥:٣٤٨ (طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ت: مصطفى عطا)، وطبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص١٤٩:١٦٣، وشد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، لجنيد الشيرازي ص٣٨:٤٦ (طبعة مطبعة المجلس – طهران، سنة ١٣٦٨هـ، ت: محمد قزويني وعباس إقبال).

(٣) نسبة إلى «شيراز» وهي بلد عظيم مشهور معروف، وهو قصبة بلاد فارس في الإقليم الثالث، وهي مما استجد عمارتها واختطاطها في الإسلام، قيل: أول من تَوَلَّى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل ابن عم الحجاج، وبها جماعة من التابعين مدفونون. (ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ج٣ ص٣٨٠،٣٨١ (طبعة دار صادر - بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٥م).

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد الديلمي، عُرِفَ بأنه كاتب سيرة الشيخ الكبير ابن خفيف، تتلمذ الديلمي على ابن خفيف، وصحبة حوالي ١٩ سنة، وكان للديلمي اطلاع على كلام الحكماء والمتكلمين والفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء. (المعلومات عن حياة الديلمي ومؤلفاته شحيحة جدًا، وقد استخلص د/حسن الشافعي ود/«جوزيف نورمنت بل» بعض ما يخص حياة الديلمي وذلك من خلال كتابه «عطف الألف المألوف»، وبعض الشذرات المسطورة في مصادر أخرى، يراجع: الدراسة التي أُعدتْ عن الديلمي لتحقيق كتاب «عطف الألف المألوف على اللام =





وُلد ابن خفيف في مدينة شيراز سنة ٢٦٧هـ، ونشأ بها في أسرة تتمتع برغد العيش حيث كان أبوه من أمراء فارس، إلا أن ابن خفيف هجر هذه الحياة المُتْرَفة وأظهر منذ طفولته حب الزهد وطلب العلم، حتى أن شيخه أحمد بن يحيى[١] بَشَّره بأنه سيكون له مقام عظيم عند الله تعالى.

ومع تَزَهُّد ابن خفيف وطلبه للعلم فقد عمل بعدة حرف، وكان ما يكسبه من عمله يوزعه بين النفقة على نفسه ووالدته، وبين اشتراء الورق والنفقة على بعض أصحابه.

رحل ابن خفيف في شبابه عدة رحلات، منها رحلاته إلى العراق والشام ومصر والحجاز.

كان ابن خفيف من المُعَمِّرين حيث عاش مائة وأربع سنين، فقد تُوفي في شيراز سنة ٣٧١هـ، وقد اجتمع في جنازته خلق كثير فيهم اليهود والنصارى والمجوس، كلٌ أَدَّى صلاة دينه.

يُعَدُّ الشيخ ابن خفيف من الصوفية القلائل الذين جمعوا منذ صغرهم بين طريق طلب العلم وسلوك طريق التصوف، فقد سمع الحديث من خلق كثير منهم محمد بن

---

= المعطوف» ص٢٤:١٠ (طبعة دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ت: أ.د/حسن الشافعي وأ.د/جوزيف نورمنت بل).

(١) هو من أوائل من حضر عليهم الشيخ محمد بن خفيف وتأدّب على يديهم وتهذّب، يُكنى الشيخ أحمد بن يحيى بأبي العباس، كَتَبَ عن الجنيد وأبي محمد رويم، والتقى بسهل بن عبد الله التستري. (ينظر: سيرة الشيخ الكبير، للديلمي ص٩١، وشد الإزار، لجنيد الشيرازي ص١٣٧، ١٣٨.

جرير الطبري[١]، وتفقه على شيخ الشافعية في وقته ابن سريج[٢]، والتقى في البصرة بالإمام الأشعري، وأخذ عنه علم الكلام وكان من أعيان تلامذته.

أما عن أبرز شيوخه في طريق التصوف غير أحمد بن يحيى الذي سبق ذكره فهم: رويم بن أحمد[٣]، وأبو محمد الجريري[٤] وأبو العباس بن عطاء[٥]، وقد التقى ابن خفيف بالحلاج[٦] وكان من القلة من المشايخ الذين قبلوه وصحّحوا حاله.

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل «آمل طبرستان»، مولده ٢٢٤هـ، وطلب العلم بعد سنة ٢٤٠هـ، وأَكْثَرَ الترحال، ولقي نبلاء الرجال، استوطن بغداد وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، من مؤلفاته: «أخبار الرسل والملوك»، و«جامع البيان في تفسير القرآن». (ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٤ ص٢٦٧:٢٨٢، والأعلام، للزركلي ج٦ ص٦٨، ٦٩).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ج١٦ ص٣٤٢، وابن سُرَيْج هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، الفقيه الشافعي، وكان يقال له: الباز الأشهب، ولي القضاء بشيراز، وكان يُفضَّل على جميع أصحاب الإمام الشافعي، حتى على المزني، وكان حاضر الجواب، له مناظرات ومساجلات مع محمد بن داود الظاهري، تُوفي ببغداد سنة ٣٠٦هـ، من مؤلفاته: «الأقسام والخصال»، و«الودائع لمنصوص الشرائع». (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٢١:٣٩، والأعلام، للزركلي ج١ ص١٨٥) .

(٣) هو رويم بن أحمد بن يزيد، من أهل بغداد ومن جلة مشايخهم، كان فقيهًا على مذهب داود الأصبهاني وكان مقرئًا، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد، تُوفي سنة ٣٠٣هـ، من كلامه: «إن الله تعالى غَيَّب أشياء في أشياء، غَيَّبَ مكره في حلمه، وغَيَّبَ خداعه في لطفه، وغَيَّبَ عقابه في كرامته». (ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي ص١٤٧:١٥١، وحلية الأولياء، لأبي نعيم ج١٠ ص٢٩٦:٣٠١ (طبعة السعادة بجوار محافظة مصر، سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).

(٤) هو أحمد بن محمد الحسين الجُريرى، كان من كبار أصحاب الجنيد وصحب أيضًا سهلًا بن عبد الله التستري، وهو من علماء مشايخ القوم، أُقْعِد بعد الجنيد في مجلسه لتمام حاله وصحة علمه، تُوفي سنة ٣١١هـ (ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي ص٢٠٣:٢٠٦، وطبقات الأولياء، لابن الملقن ص٧١:٧٦ (طبعة مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ت: نور الدين شريبه).

(٥) هو أبو العباس بن عطاء، واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن يختص به، صحب إبراهيم المارستاني والجنيد بن محمد ومَنْ فوقهما من المشايخ، تُوفي سنة ٣٠٩هـ، من كلامه: «من ألزم نفسه آداب السنة نَوَّرَ الله قلبه بنور المعرفة». (ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي ص٢٠٧، وطبقات الأولياء، لابن الملقن ص٥٩).

(٦) هو أبو مغيث الحسين بن منصور، من أهل بيضاء فارس، ونشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيد وأبا الحسين النوري وعَمْرًا المكي وغيرهم، ومشايخ الصوفية في أمره مختلفون، رَدَّهُ أكثر المشايخ ونفوه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف، وقَبِلَه من جملتهم ابن عطاء وابن خفيف وأبو القاسم النصراباذي، وأثنوا عليه وَصَحَّحُوا له =

ومن أشـــهر تلامذة الشـــيخ محمد بن خفيف الذين اتفق أصـحاب التراجم عليهم: أبو الفضل الخزاعي[١]، وأبو الحسن الديلمي، ومحمد بن عبد الله بن باكويه[٢].

## ثالثًا: تعريف مُفصّل بتراث ابن خفيف الشيرازي:

لما كان العثور على مؤلفات لتلميذ من تلامذة الإمام الأشــعري أمرًا عزيزًا طالما تطلّع الباحثون له؛ لكون هذه المؤلفات قد تكشــف لنا عن نتائج علمية مهمة تخص المدرســة الأشــعرية، وعلى رأســها المســألة التي يعالجها البحث[٣]، وهي إنهاء الجدل الذي دار بخصـــوص المراحل العقدية التي مرّ بها أبو الحســـن[٤]، لما كان ذلك كذلك فقد اختار الباحث أن يقف مع تراث ابن خفيف وقفة تفصيلية.

---

= حاله وحكوا عنه كلامه وجعلوه أحد المحققين، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه، فسُجن وعُذب وضُرب، ثم قُتل بباب الطاق ببغداد سنة ٣٠٩هـ، من مؤلفاته: كتاب «الطواسين»، و«خلق الإنسان والبيان». (ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي ص٢٣٦:٢٣٩، والأعلام، للزركلي ج٢ ص٢٦٠،٢٦١).

(١) هو أبو الفضل محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل الخزاعي الجرجاني، من أئمة القراءات، جال في الآفاق في طلب القراءات، توفي سنة ٤٠٨هـ، من مؤلفاته: «المنتهى في الخمسة عشر»، و«تهذيب الأداء في السبع». (ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري ج٢ ص٩٨، ٩٩ (طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م)، والأعلام، للزركلي ج٦ ص٧١).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن باكويه الشيرازي، أحد المحدثين ومشايخ الصوفية الكبار، رحل إلى بلدان عدة، وأخذ عن جماعة من المشايخ منهم ابن خفيف، وأخذ عنه أبو القاسم القشيري وغيره، تُوفي سنة ٤٢٨هـ، من مؤلفاته: «بداية الحلاج ونهايته»، و«أخبار العارفين». (ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٧ ص٥٤٤، والأعلام، للزركلي ج٦ ص٢٢٧).

(٣) وربما يفيد في هذا الصدد كتاب «تأويل الآيات المشكلة الموضحة وبيانها بالحجة والبرهان»، لتلميذ الأشعري ابن مهدي الطبري، والكتاب مخطوط بمكتبة طلعت بالقاهرة، مجموع ٤٩١ (من ١٠٨ أ- ١٦٢ ب، في القرن الثاني عشر الهجري). (يراجع: تاريخ التراث العربي – العلوم الشرعية، لفؤاد سزكين ج٤ ص٤٥ (طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، نقله إلى العربية: د/محمود حجازي).

(٤) كما أن هذه المؤلفات يمكن أن تُطلعنا على السمات العلمية التي اتسمت بها المدرسة الأشعرية في دورها الأول، والمقارنة بين هذا الدور والأدوار التي تليه.

وقد كان ابن خفيف من المكثرين في التأليف في مجالات متعددة، حتى أن أبا العباس النسوي[١] قال: «صَنَّفَ شيخنا ابن خفيف من الكتب ما لم يصنفه أحد، وانتفع به جماعة صاروا أئمة يُقتدى بهم، وعمّر حتى نفع الله به البلدان»[٢].

ويقول عنه العطار[٣]: «كان يُصَنِّف كل أربعين يومًا تصنيفًا عن غوامض الحقائق، وله كثير من التصانيف النفيسة في علم الظاهر جميعها مقبولة مشهورة»[٤].

وبعد الاطلاع على ما يَسَّرَ الله تعالى الوقوف عليه من تراث ابن خفيف فإنه يمكن القول بأن تراثه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تراث مطبوع، وتراث مخطوط، وتراث مفقود.

## القسم الأول: تراث ابن خفيف المطبوع:

طُبع من تراث ابن خفيف عدة كتب، بعضها كان مُلحقًا بكتب أخرى، وبعضها طُبع مستقلًا، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي، الزاهد الصوفي، شيخ الحرم، وصاحب كتاب «تاريخ الصوفية وسير الصالحين والزهاد»، صحب أبا عبد الله بن خفيف، وكان عارفًا بمذهب الشافعي، وسمع ابن عدى وأحمد بن عطاء الروذباري، وطائفة بالشام والعراق والعجم، روى عنه أبو نصر بن الخباز وأبو على الأهوازي وطائفة، وَوَثَّقَه الخطيب البغدادي، تُوفي سنة ٣٩٦هـ بين مكة ومصر. (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٤٢، ٤٣، وطبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح ج١ ص٣٨٠ (طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م، ت: محي الدين نجيب).

(٢) تاريخ الإسلام، للذهبي ج٨ ص٣٦٥ (طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م، ت: د/بشار معروف).

(٣) هو أبو طالب، وقيل: أبو حامد، محمد بن أبي بكر بن إسحاق، الملقب بفريد الدين، المشهور بالعطار، وُلِدَ في قرية «كدكن» من قرى نيسابور، وورث من أبيه مهنة العطارة، وأمضى فترة من عمره في السفر والترحال، فزار الري والكوفة ومصر ودمشق ومكة والهند وبلاد ما وراء النهر، وله نصيب من علوم مختلفة كالأدب والحكمة والكلام والنجوم والصيدلة، إضافة للعلوم الدينية، تُوفي ما بين عامي ٦١٨هـ و٦٢٧هـ، من مؤلفاته: «أسرار نامه»، و«منطق الطير». (ينظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة ج١ ص٣٨٥ (طبعة مكتبة المثنى – بغداد، سنة ١٩٤١م)، ومقدمة د/منال اليمني لترجمتها لكتاب تذكرة الأولياء للعطار ج١ ص١١، ١٢ (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٩م).

(٤) تذكرة الأولياء، للعطار ج١ ص٢١٣.

### ١) المعتقد الصغير[١]:

له نشـرة بعنوان «معتقد ابن خفيف»، ضمن نشرات كلية الإلهيات رقم (١٢)، جامعة أنقرة سنة ١٩٥٥م، وأُلحق جزءًا من هذه النشرة بتحقيق كتاب «ختم الأولياء»[٢].

وتحت نفس عنوان نشرة كلية الإلهيات فقد ألحقته المستشرقة الألمانية «آنا ماريا شميل طاري»[٣] بتحقيقها لكتاب «سيرة الشيخ الكبير»[٤]، ونقله عنها أستاذنا العلامة د/حسن الشافعي وألحقه بتحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري[٥].

وقد اعتمدت «آنا ماريا» في نشر «معتقد ابن خفيف» على نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة «الفاتح»، وهي تقع ضمن مجموع رقم (٥٣٩١) لوحة (٧/ ب - ١١/ أ).

وللكتاب نسخ مخطوطة أخرى، منها: نسخة «أيا صوفيا»، وهي تقع ضمن مجموع رقم (٤٧٩٢) لوحة (٧٤٧أ - ٧٤٨ ب)، ونسخة «برتو باشا»، وهي تقع ضمن مجموع رقم

---

(١) نَصَّ على كونه من مؤلفات ابن خفيف كل من: جنيد الشيرازي في «شد الإزار» ص٤٣، وإسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج٢ ص٥٠ (طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية – استانبول، سنة ١٩٥١م)، وفي «إيضاح المكنون» ج٤ ص٣٣٣ (طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، عني بتصحيحه: محمد بالتقايا وزميله).

(٢) ينظر: ملحقات كتاب «ختم الأولياء»، للحكيم الترمذي ص٤٦٢، ٤٦٣ (المطبعة الكاثوليكية بإدارة معهد الآداب الشرقية - بيروت، ت: عثمان إسماعيل يحيى).

(٣) مستشرقة ألمانية وُلِدَتْ سنة ١٩٢٢م في «إرفورت» بوسط ألمانيا لعائلة بروتستانتية، بدأت تَعَلُّم اللغة العربية في الخامسة عشر من عمرها، وتعلمت كذلك الفارسية والتركية والأوردية، حصلت على الدكتوراه من جامعة «همبولت» سنة ١٩٤١م، وعملت في جامعات: «هارفارد»، و«بون»، و«ماربورغ»، و«أنقرة»، توفيت سنة ٢٠٠٣م، لها تحقيقات وترجمات لكتب التراث العربي خاصة الصوفي منه، من مؤلفاتها: «الأبعاد الصوفية في الإسلام»، و«عيسى ومريم في التصوف الإسلامي». (تراجع معلومات عنها في ترجمتها الذاتية التي أعدتها بعنوان: «الشرق والغرب: حياتي الغرب – شرقية»، طبعة المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م، ترجمة: عبد السلام حيدر).

(٤) ينظر: ملحقات «سيرة الشيخ الكبير» ص٣٤٠:٣٦٥.

(٥) ينظر: ملحقات تحقيق د/حسن الشافعي لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٣١٥:٣٢٦.





(٦٥٢) لوحة (٢ أ - ٧ أ)[١]، وقد حُقق اعتمادًا على النسخ الثلاث وصدر عن دار الإمام الرازي بالقاهرة طبعة سنة ٢٠٢٢م[٢].

## ٢) الوصية للمريدين:

ألحقتها المستشرقة «آنا ماريا شميل» بتحقيقها لكتاب «سيرة الشيخ الكبير» تحت عنوان «وصية ابن خفيف»[٣]، ونقلها عنها أستاذنا د/حسن الشافعي وألحقها بتحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري[٤].

واعتمدت «آنا ماريا» على نسخة خطية، وهي نسخة مكتبة «توبنجن» رقم (٨٩/٢١) لوحة (١٢٧ب – ١٢٨ ب).

---

(١) هناك نسخ أخرى لمعتقد ابن خفيف معظمها محفوظ في مكتبات إيران، وقد نَصَّ عليها جواد بشرى في ورقته البحثية التي رصد فيها بعض تراث ابن خفيف: يراجع: آثار برجاى مانده از ابن خفيف ودست نويسى از بخش ابتدايى «كتاب الاقتصاد» ص٤٥ (ط آينة ميراث، شمارة ٦٤).

(٢) وقد وُفِّقْتُ لمطالعة شرحين مخطوطين لـ«المعتقد الصغير»، هما:

- «إتحاف المبتدي بحل عقيدة من إلى الصراط هدي» للدجاني القشاشي (ت: ١٠٧١هـ)، ومن بين نسخه المحفوظة: نسخة المكتبة الأزهرية المحفوظة تحت رقم (٩٧٥٣٤ مجاميع) لوحة (١٧٤ب-٢٠١أ)، ونسخة مصورة بعنوان «شرح عقيدة ابن خفيف» محفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم (٦٨٠٠- ٤ ف) لوحة (١٠٢ب-١١٧ب).

- «الفوائد العمادية في شرح القواعد الاعتقادية»، لمؤلف مجهول، وقد أحال في شرحه هذا على كتاب له باسم «مشارع العيون»، ولم أهتدِ لهذا الكتاب، ولـ«الفوائد العمادية» نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز، مجموعة المكتبة المحمودية ضمن مجموع تحت رقم (٢٦٣٤) لوحة (١٧٣-١٩٨أ).

وهناك شرح ثالث ذكره جنيد الشيرازي (ت: بعد ٧٤٠هـ) في «شد الإزار» ص٦٧، وهو «شرح المعتقد الصغير للشيخ الكبير» لافتخار الدين الدامغاني (ت: ٧٧٥هـ)، ولم أعثر عليه.

(٣) ينظر: ملحقات «سيرة الشيخ الكبير» ص٣٣٧:٣٣٩.

(٤) ينظر: ملحقات تحقيق د/حسن الشافعي لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٣١١:٣١٤.

وقد وُفِّقْتُ لمطالعة عدة نسخ خطية أخرى، منها: نسخة «برتو باشا»، وهي تقع ضمن مجموع رقم (٦٥٢) لوحة (٢٦ أ - ٢٧ ب)، ونسخة «حميدية» مجموع رقم (١٤٤٧) لوحة (٢٢٦ب – ٢٢٦أ)[١].

### ٣) فضل التصوف على المذاهب[٢]:

قامت بنشره وإخراجه «فاطمه علاقه»، بالتعاون مع «كاظم برگ نيسى»، ط معارف، دورة بانزدهم، شمارة ١ و٢، فروردين – آبان ١٣٧٧، وذلك عن نسخة خطية محفوظة ضمن مجموع رقم (٨٧) في مكتبة «خانقاه أحمدية» بشيراز.

### ٤) شرف الفقراء[٣]:

هو ترجمة فارسية للأصل العربي الذي صنّفه ابن خفيف، وقد عمل على نشره وإخراجه «فاطمة علاقه»، ط معارف، دورة شنازدهم، شمارة ١، فروردين – تير ١٣٧٨، وذلك عن نسخة محفوظة في مكتبة «كتبخانة سيد محمد علي روضاتي».

### ٥) كتاب الاقتصاد[٤]:

هو كتاب أَلَّفَه ابن خفيف للمبتدئين من المريدين من الصوفية، وقد حققّه المستشرق الألماني «فلوريان صبيروي» في رسالته للدكتوراه التي حصل عليها من جامعة

---

(١) هناك نسخ أخرى لوصية ابن خفيف نَصَّ عليها جواد بشرى: يراجع: آثار برجاى مانده از ابن خفيف ودست نويسى از بخش ابتدايى «كتاب الاقتصاد» ص٤٥، ٤٦.

(٢) نَصَّ على كونه من مؤلفات ابن خفيف كل من: الديلمي في «سيرة الشيخ الكبير» ص٢٥٧، وجنيد الشيرازي في «شد الإزار» ص٤٢، وإسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج٢ ص٤٩، وفي «إيضاح المكنون» ج٤ ص١٩٨.

(٣) نَصَّ على كونه من مؤلفات ابن خفيف كل من: الديلمي في «سيرة الشيخ الكبير» ص٢٥٧، وجنيد الشيرازي في «شد الإزار» ص٤٢، وإسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج٢ ص٤٩، وفي «إيضاح المكنون» ج٤ ص٤٧.

(٤) نَصَّ على كونه من مؤلفات ابن خفيف كل من: الديلمي في «سيرة الشيخ الكبير» ص٢٥٧، وجنيد الشيرازي في «شد الإزار» ص٤٢، وإسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج٢ ص٥٠، وفي «إيضاح المكنون» ج٤ ص٢٧٠.

«فرايبورج» بألمانيا سنة ١٩٩٢م، وقد اعتمد في هذا التحقيق على نسختين خطيتين، وهما: نسخة «برنستون»، مجموعة «يهودا»، تحت رقم (٢٦٥٤)، ورمز الحفظ (٤٥٩)، ونسخة «برتو باشا»، وهي تقع ضمن مجموع رقم (٦٥٢) لوحة (٨ أ – ٢٦ ب).

وبالإضافة لهاتين النسختين اللتين اعتمد عليهما «صبيروي» فقد ذكر «جواد بشرى»[١] أن هناك نسخة خطية أخرى نفيسة لكتاب «الاقتصاد» محفوظة في «كتبخانة آية الله مرعشي بقم» برقم (٦٧/٥)، وهي نسخة غير مكتملة[٢]، وقد وُفِّقْتُ للاطلاع على نسخة مصورة عنها، وهي نسخة «مركز جمعة الماجد» المحفوظة برقم (٢٣٠٢٧٨)، وهذه النسخة وإن كانت منقوصة إلا أن لها أهمية كبيرة حيث احتوت في مقدمتها على رواية الكتاب بثلاثة أسانيد تنتهي إلى ابن خفيف، إضافة للاختلاف بينها وبين النسختين اللتين اعتمد عليهما «صبيروي» في بعض الكلمات.

وقد حُقق الكتاب مقارنًا على النسخ الخطية الثلاث ونشرة «صبيروي» وصدر عن دار نور اليقين بالقاهرة طبعة سنة ٢٠٢٣م.

### ٦) مقالاته المنقولة عنه في الكتب المطبوعة:

ويمكن أن يدخل ضمن تراث ابن خفيف المطبوع مقالاته التي نُقِلَتْ عنه في كتب التراجم التي ترجمت له[٣]، وكذا ما نُقِلَ عنه في كتب التصوف[٤].

---

(١) أستاذ مساعد بقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعة طهران، j.bashary@ut.ir

(٢) ينظر: آثار برجاى مانده از ابن خفيف ودست نويسى از بخش ابتدايى «كتاب الاقتصاد» ص٤٧.

(٣) ككتب: «سيرة الشيخ الكبير» للديلمي، و«شد الإزار» للجنيد الشيرازي، و«طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين السبكي، و«طبقات الصوفية» للسلمي، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم، وغيرها.

(٤) فقد وردت له مقالات في كتب التصوف المشهورة، مثل: «الرسالة» للقشيري، و«عوارف المعارف» لأبي حفص السهروردي، و«نفحات الأنس» للجامي، وغير المشهورة، مثل: «عطف الألف المألوف على اللام المعطوف» لتلميذه الديلمي، و«الإبانة عن طرق القاصدين» لابن فورك، و«تهذيب الأسرار» للخركوشي، =

وقد قمتُ بعمل استقراء لهذه الكتب ولغيرها مما توفر لديّ فجمعتُ أكثر من (٣٠٠) مقالة لابن خفيف.

ومما ينبغي إفراده بالذكر مما نُقل عن ابن خفيف هو تلك المقالة الطويلة التي وصف فيها لقاءه الأول بالإمام الأشعري، وهي التي سماها شيخنا د/حسن الشافعي «المقامة الشيرازية في المناظرة الأشعرية»، وألحقها بتحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري[(١)].

وهذه المقالة أو المقامة ملحقة أيضًا بـ«سيرة الشيخ الكبير»[(٢)]، وهي منقولة من «طبقات الشافعية الكبرى» لتاج الدين السبكي[(٣)]، والذي ذكر أنه نقلها من كتاب «غاية المرام في علم الكلام» الذي نسبه لضياء الدين الرازي، خطيب الري[(٤)].

---

= و«كتاب البياض والسواد» للسيرجاني، وكتب روزبهان البقلي وأهما: «عرائس البيان»، و«عرائس الحديث»، و«مشرب الأرواح»، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة التي نُقلت فيها مقالات لابن خفيف.

(١) ينظر: ملحقات تحقيق د/حسن الشافعي لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٣٠١:٣١٠.

(٢) ينظر: ملحقات «سيرة الشيخ الكبير» ص٢٨٩:٢٦٥.

(٣) هو أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، فقيه شافعي، ومؤرخ عربي، طلق اللسان قوي الحجة، وُلِدَ في القاهرة سنة ٧٢٧هـ، وانتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقي الدين السبكي وهو صغير فسكنها، وانتهى إليه القضاء فيها، وحصل له بسبب القضاء محنة شديدة، تُوفي بالطاعون سنة ٧٧١هـ، من مؤلفاته: «طبقات الشافعية الكبرى»، و«جمع الجوامع» في أصول الفقه. (ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٢٣٢:٢٣٦ (طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، والأعلام، للزركلي ج٤ ص١٨٤، ١٨٥).

(٤) ينظر: طبقات الشافية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص١٥٩:١٦٣، وضياء الدين الرازي كما ذكر التاج السبكي في ترجمته: هو أبو القاسم عمر بن الحسين بن الحسن، والد الإمام فخر الدين الرازي، كان أحد أئمة الإسلام، مُقَدَّمًا في علم الكلام، له فيه كتاب «غاية المرام» (هكذا في المطبوع من الطبقات، والأصح «نهاية المرام»)، وهو من أنفس كتب أهل السنة وأسدّها تحقيقًا، أخذ الإمام ضياء الدين علم الكلام عن أبي القاسم الأنصاري تلميذ إمام الحرمين، وأخذ الفقه عن «صاحب التهذيب»، وكان فصيح اللسان قوى الجنان فقيهًا أصوليًا متكلمًا صوفيًا خطيبًا محدثًا أديبًا له نثر في غاية الحسن. (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٧ ص٢٤٢، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة ج٢ ص١٥ (طبعة عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ، ت: د/الحافظ عبد العليم).




وبالبحث في فهارس المكتبات وقفتُ على كتاب ابن خطيب الري المذكور آنفًا لكن تحت عنوان: «نهاية المرام في دراية الكلام»، وقد تم نشر النسخة الخطية لهذا الكتاب مصورة بعد كتابة مقدمة لها وعمل فهارس لموضوعاتها[1]، وبَيَّن المقدم للكتاب أيمن شحادة أن هذه النسخة الخطية كانت محفوظة في «الخزانة الآصفية» في حيدر آباد بالهند، ثم ضُمَّتْ إلى مكتبة «أندرا پراديش» للمخطوطات الشرقية تحت رقم (كلام١٣).

وبمجرد العثور على هذه النسخة من كتاب ابن خطيب الري الذي نقل منه التاج السبكي مقالة ابن خفيف في وصف لقائه الأول بالإمام الأشعري - تصفحتُ المخطوطة فتحققتُ من وجود هذه المقالة أو المقامة لابن خفيف، ووجدتُها تستغرق من اللوحة (٣٨١أ) إلى اللوحة (٣٨٣أ).

## القسم الثاني: تراث ابن خفيف المخطوط:

لابن خفيف كتب لم تخرج إلى عالم المطبوعات بعد، فهي لا تزال محفوظة في أضابير المخطوطات، وما وقفتُ عليه من هذا القبيل هو:

### ١) مخطوط «شرح خاصية الآيات البينات وجوامع الدعوات في الأوقات المختلفات»[2]:

لهذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة «فيض الله أفندي» تحت رقم حفظ (١٢٦٠)، فيما يزيد عن ١٦٠ لوحة، وقد ذكر ابن خفيف في مقدمته أن هذا الكتاب كان مبسوطًا بالأسانيد فحذفها ليسهل حفظه.

---

(١) تحت إشراف: مركز بژهشي ميراث مكتوب، ومؤسسه مطالعات اسلامى دانشگاه آزاد برلين، تهران ١٣٨٩ هـ ش، تقديم وفهرسة باللغة العربية: أيمن شحادة.

(٢) نَصَّ على كونه من مؤلفات ابن خفيف كل من: حاجي خليفة في «كشف الظنون» ج١ ص١٤٤٧، وإسماعيل البغدادي في «هدية العارفين» ج٢ ص٥٠، وفي «إيضاح المكنون» ج٤ ص٤٦.

٢) **ومما يمكن ذكره في هذا الصدد:** أن المستشرقة «آنا ماريا شميل» ذَكَرَتْ أنه في فهرست «كتبخانة مشهد» مجلد٢ ص٣٣٣ نمر٢ كتاب بعنوان «أوصاف القلوب»، لمؤلف اسمه «عبد الله»، وأن المستشرق «كارل بروكلمان»[١] قد سارع بنسبته لابن خفيف رغم أن المترجمين له لم يذكروا أن من بين كتبه كتابًا يحمل هذا العنوان[٢].

وربما لو تَمَّ الاطلاع على هذه المخطوطة فإنه يمكن للباحثين مقارنتها بمؤلفات ابن خفيف فيخرجون بنتيجة ما حولها.

## القسم الثالث: تراث ابن خفيف المفقود:

يمكن أن نقسم تراث ابن خفيف المفقود إلى قسمين: تراث مفقود لكن نقل البعض منه نصوصًا، وتراث مفقود لم ينقل أحد منه شيئًا على حد ما وقفتُ عليه من مصادر:

### أولًا: تراثه المفقود الذي نقل البعض منه نصوصًا:

الذي وقفتُ عليه من هذا القبيل:

(١) من أشهر المستشرقين، ولد في مدينة «روستوك» بألمانيا سنة ١٨٦٨م، بدأ اهتمامه بالدراسات الشرقية وهو في المدرسة الثانوية، التحق بجامعة «روستوك» سنة ١٨٨٦م، وانتقل إلى «اشتراسبورج» لحضور دروس المستشرق «نيلدكه»، عمل في عدة جامعات ألمانية، توفي سنة ١٩٥٦م، كانت رسالته في الدكتوراه عن العلاقة بين كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير وكتاب «أخبار الرسل والملوك» للطبري، ومن أشهر مؤلفاته: «تاريخ الأدب العربي». (ينظر: موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي ص٩٨:١٠٥ (طبعة دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٣م).

(٢) ينظر: مقدمة «آنا ماريا شميل» لكتاب «سيرة الشيخ الكبير» ص٧.

## ١) كتاب «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»:

هذا الكتاب نقل منه ابن تيمية[١] كثيرًا من النقولات في قضايا عقدية وصوفية متعددة[٢]، ولعل هذا الكتاب هو ما ذكره الديلمي في «سيرة الشيخ الكبير» ضمن مؤلفات ابن خفيف تحت عنوان «الاعتقاد»[٣]، ولعله أيضًا هو الكتاب الموسوم بـ«المعتقد الكبير» والذي نسبه له كل من جنيد الشيرازي[٤] في «شد الإزار»[٥]، وإسماعيل البغدادي[٦] في «هدية العارفين»[٧].

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الدمشقي الحنبلي، تقي الدين ابن تيمية، وُلِدَ في حران سنة ٦٦١هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق فاشتهر، سُجِنَ عدة مرات في دمشق والقاهرة بسبب كلام له في صفات الله تعالى وزيارة النبي ﷺ والطلاق، خالف به جمهور أهل السنة، من أشهر تلامذته: ابن القيم، والذهبي، مات مسجونًا في قلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ، من مؤلفاته : «السياسة الشرعية»، و«درء تعارض العقل والنقل». (ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب ج٤ ص٤٩١ (طبعة مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، ت: عبد الرحمن بن سليمان)، والأعلام، للزركلي ج١ ص١٤٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج٥ ص٧١ (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف سنة ١٩٩٥م، ت: عبد الرحمن بن محمد قاسم).

(٣) ينظر: سيرة الشيخ الكبير ص٢٥٧.

(٤) هو أبو القاسم معين الدين جنيد بن محمود بن محمد بن عمر العمري الخزرجي الشيرازي الصوفي، كان حيًّا سنة ٧٩٠هـ، صاحب كتاب «شد الإزار» المعروف «بهزار مزار». (ينظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة ج٢ ص١٠٢٨، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ج٣ ص١٦٢ (طبعة مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت).

(٥) ينظر: شد الإزار ص٤٢، ٤٣.

(٦) هو إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، عالم بالكتب ومؤلفيها، باباني الأصل، بغدادي المولد والمسكن، أقام زمنًا في «مقري كوي» بقرب «الآستانة»، مشتغلًا بإكمال كتابه «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»، وله «هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين»، توفي سنة ١٣٣٩هـ (ينظر: الأعلام، للزركلي ج١ ص٣٢٦، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ج٢ ص٢٨٩، ٢٩٠).

(٧) ينظر: هدية العارفين ج٢ ص٥٠.

### ٢) كتاب «المسائل والجوابات»:

هذ الكتاب نقل منه نجم الدين الغزي[1] في «حسن التنبه لما ورد في التشبه» نقلًا واحدًا، وهو بخصوص ما يعطيه الله تعالى للولي في الدنيا[2].

## ثانيًا: تراثه المفقود الذي لم أقف على من نقل منه نصوصًا:

هذا للأسف هو أكثر تراث ابن خفيف، وبالاطلاع على مؤلفاته التي ذكرها المترجمون نجد قائمة طويلة من المؤلفات التي لا نعرف عنها شيئًا سوى أسمائها.

فإذا استثنينا ما نَصَّ عليه المترجمون مما سبق ذكره من مؤلفات لابن خفيف فإننا نجد الديلمي وجنيد الشيرازي وإسماعيل البغدادي يطلعونا على أسماء مؤلفات أخرى لابن خفيف، وهي:

---

(١) هو أبو المكارم نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغَزّي العامري القرشي الدمشقي، مؤرخ، باحث أديب، وُلِدَ في دمشق سنة ٩٧٧هـ، وتُوفي بها سنة ١٠٦١هـ، مات والده وعمره سبع سنين، وأجازه بمروياته، وقرأ القرآن على يحيى بن العماد، ولازم العلامة شهاب الدين أحمد العيثاوي، وغيره من شيوخ دمشق، حتى برع في العلوم، وتصدر للإفادة والتحديث في مسجد الأمويين، من كتبه: «الكواكب السائرة في تراجم أعيان المئة العاشرة»، و«شرح بديع على ألفية ابن مالك». (ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله المحبي ج٤ ص١٨٩:٢٠٠ (طبعة دار صادر – بيروت، بدون)، والأعلام، للزركلي ج٧ ص٦٣).

(٢) ينظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه، لنجم الدين الغزي ج٣ ص٣٢٩ (طبعة دار النوادر – سوريا، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، ت: لجنة بإشراف نور الدين طالب).

«جامع الإرشاد»، و«الاستذكار»، و«الفصول في الأصول»[١]، و«المنقطعين»، و«الجوع وترك الشهوات»، و«لبس المُرَقَّعَات»، و«الإعانة»[٢]، و«اختلاف الناس في الروح»، و«المعراج»، و«الرد على ابن سالم»، و«الرد على ابن زينان»، و«المنهج في الفقه»، و«اللوامع»، و«المفردات»، و«المشيخة»[٣]، و«الفرق بين التقوى والتصوف»، و«الاستدراج والاندراج»،و«الجمع والتفرقة»، و«بلوى الأنبياء»، و«المحبة»، و«الود والألفة»، و«مسائل علي بن سهل»، و«معرفة الزوال»[٤].

---

(١) بين يديّ الآن مخطوطة بعنوان «فصول في الأصول»، وهو مختصر في أصول الفقه، محفوظ بمكتبة «مجلس شوراى ملي» في مجموع تحت رقم حفظ (١٤٤٤٩/٩٥٨) ويستغرق الكتاب من الصفحة رقم (٢٧) إلى الصفحة رقم (٣٣)، ولم يُصَرَّح على غلاف هذه المخطوطة أو حتى داخلها أنها من تصنيف ابن خفيف، إلا أنه يمكن التحقق من الأمر ودراستها دراسة متأنية، فربما تكون هي كتاب ابن خفيف الذي يحمل عنوان «الفصول في الأصول»، خاصة والمخطوطة مُصَرَّح فيها بشافعية صاحبها، أضف إلى هذا أن صاحب كتاب «الفوائد العمادية» الذي هو شَرْحٌ لمعتقد ابن خفيف، قد أحال في قضية «كون أفعال النبي ﷺ سنة إلا ما اختصه الله تعالى به» على كتاب «الأصول» لابن خفيف، والقضية نفسها موجودة في هذه المخطوطة المذكورة.

(٢) هكذا: «الإعانة»، في المطبوع من كتاب «سيرة الشيخ الكبير»، وفي المطبوع من كتاب «شد الإزار» وردتْ هكذا: «الإغاثة»، ولعلها لا هذه ولا تلك وإنّما «الإغانة»، ويكون موضوع الكتاب هو شرح حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «إنّه ليُغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة» (أخرجه مسلم في الصحيح عن الأغر المزني، كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار»، باب «استحباب الاستغفار والاستكثار منه»، ج٤ ص٢٠٧٥ برقم٢٧٠٢)، سيّما وأنّ للصوفية كلامًا كثيرًا حول هذا الحديث، وقد جَرَتْ مناقشات بين ابن خفيف وبين بندار بن الحسين حول هذا الأمر (ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٤٩)، ولروزبهان البقلي المتأثر جدًا بابن خفيف كتاب بهذا العنوان «الإغانة». (ينظر: المصباح في مكاشفة بعث الأرواح، لرزوبهان البقلي ص٤، وص٤٦(طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ت: د/إبراهيم الكيالي).

(٣) عند جنيد الشيرازي: «أسامي المشايخ».

(٤) ينظر: سيرة الشيخ الكبير ص٢٥٧، ٢٥٨، وشد الإزار ص٤٢، ٤٣، وهدية العارفين ج٢ ص٤٩، ٥٠، وإيضاح المكنون ج٣ ص٤٨، وص٣٥٠، وص٣٦٧، وص٥٥٣، وج٤ ص٤٧، وج٤ ص٢٢٦، وص٢٦٩، وص٣٢٦، وص٣٣٥، وص٣٤٠، وص٣٤٩، وص٤٠١، وص٤٧٥.

ومن الكتب المفقودة لابن خفيف ما تَفَرَّد بذكره صاحب «هدية العارفين» و«إيضاح المكنون»، حيث ذكر في هذا الصدد: كتاب «آداب المريدين»، «وكتاب السماع»[١]، وديوان شعر[٢].

هذا، ولا يقف تراث ابن خفيف على هذا المذكور وحسب بل إن الديلمي بعد تعداد مؤلفات ابن خفيف نجده يقول: «أمّا المسائل المتفرقة التي سُئِلَ (أي: ابن خفيف) فيها فأجاب فلا حصر لها ولا عدد»[٣].

وباستقراء هذا التراث الخفيفي الذي يَسَّرَ الله تعالى الاطلاع عليه، فإن الذي يُمْكِنُ توظيفه في موضوع البحث هو نصوص من: «المعتقد الصغير»، و«كتاب الاقتصاد»، و«الوصية للمريدين»، و«المقامة الشيرازية»، وما نقله ابن تيمية من كتاب ابن خفيف «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، وبعض ما نُقِلَ عنه في كتب التراجم.

لكن الوقوف على هذه النصوص ومعرفة كيفية توظيفها في تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري يأتي بعد معرفة حقيقة تلك الدعوى، والجهود السابقة في تفنيدها، وهو ما سيطلعنا عليه البحث في الصفحات القادمة.

---

(١) بين يدي الآن مخطوطة صُنِّفَتْ لتعالج قضية «السماع» التي يُعنى بها الصوفية، وهي بعنوان «رسالة في السماع»، لها نسخة محفوظة بمكتبة «كتبخانة مجلس سنا» في مجموع تحت رقم حفظ (IR١٠-٣٢٤٩٤)، وتستغرق الرسالة من الصفحة (١٤٢) إلى الصفحة (١٥٢)، وهذه المخطوطة لم يُصَرَّح على غلافها ولا داخلها أنها لابن خفيف، لكن يوجد بينها وبين آراء ابن خفيف عن «السماع» والتي دَوَّنَهَا في كتاب «المعتقد الصغير» وكتاب «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» تطابق تام، كما أن أسلوبها متشابه إلى حد كبير مع أسلوب ابن خفيف في كتاب «الاقتصاد»، وربما لو دُرِسَتْ المخطوطة دراسة متأنية نخرج بنتيجة ما حول نسبتها لابن خفيف.

(٢) ينظر: هدية العارفين ج٢ ص٤٩، ٥٠، وإيضاح المكنون ج٣ ص٤، وج٣ ص٤٨٥، وج٤ ص٤٦، وج٤ ص٣٠٣.

(٣) سيرة الشيخ الكبير ص٢٥٧، ٢٥٨.

# المبحث الأول

## بين يدي دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري والردود عليها

### المطلب الأول: حقيقة الدعوى:

يكاد يكون من المعلوم ضرورة لدى كل باحث في المجال الكلامي أن الإمام الأشعري كان على مذهب الاعتزال ردحًا من الزمن، ثم لحق به لطف الله تعالى الذي جعله يقوم بعملية مراجعة فكرية لما تَرَبَّى عليه وتَعَلَّمَه وعَلَّمَه من أصول المعتزلة، فترك مذهب المعتزلة إلى غير رجعة، بل وشمّر ساعد الجد وانتهض للرد عليهم.

هذا، وقد تطابقت كلمة الجمهرة من العلماء المتقدمين من النُّظَّار والمؤرخين[١] على أن الإمام الأشعري بعد تركه لمذهب الاعتزال انتقل إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فدافع ونافح عنه إلى أن لقي ربه، يقول الإمام ابن فورك: «انتقل الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ۏ من مذاهب المعتزلة إلى نصرة مذاهب أهل السنة والجماعة بالحجج العقلية وصنّف في ذلك الكتب»[٢].

---

(١) ينظر في هذا الصدد مثلًا: مجرد مقالات الأشعري، لابن فورك ص٣، ٤ (طبعة مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، ت: أ.د/أحمد السايح)، وتبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص١٣٥، والعواصم من القواصم، لابن العربي ص٧١ (طبعة مكتبة دار التراث - مصر، بدون، ت: د/عمار طالبي)، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ج١٣ ص٢٦٠ (طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ت: د/بشار معروف)، وفهرسة اللبلي، لشهاب الدين اللبلي ص٧٤ (طبعة دار الغرب الاسلامية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ت: ياسين يوسف وزميله)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان ج٣ ص٢٨٤، وسير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٥ ص٨٩، وطبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٣٤٧، وص٣٥٦، و العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون ج١ ص٦٠٣، ٦٠٤ (طبعة دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ت: خليل شحادة)، و الخطط والآثار، للمقريزي ج٤ ص١٩٢ (طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨ هـ)، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة ج١ ص١١٢.

(٢) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٢٧٨.

ويقول ابن خلدون[١]: «إلى أن ظهر الشيخ أبو الحسن الأشعري وناظر بعض مشايخهم (أي: المعتزلة) في مسائل الصلاح والأصلح، فرفض طريقتهم، وكان على رأي عبد الله بن سعيد بن كلاب[٢] وأبي العباس القلانسي[٣] والحارث بن أسد المحاسبي[٤] من أتباع السلف وعلى طريقة السُّنَّة، فأيّد مقالاتهم بالحجج الكلامية»[٥].

وقد قرر نفس هذا الأمر كثير من المهتمين بالدراسات الكلامية من المعاصرين[٦]، ومن هؤلاء فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب حيث يقول بعد أن ذكر نبذة عن

---

(١) هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، الحضرمي الإشبيلي، المؤرخ، العالم الاجتماعي، أصله من إشبيلية، وُلِدَ سنة ٧٣٢هـ بتونس ونشأ بها، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالًا، وعاد إلى تونس، ثم توجّه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، ووُلي فيها قضاء المالكية، وتُوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨هـ، من مؤلفاته: «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، و«شرح البردة». (ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي ج١ ص٧١ (طبعة دار ابن كثير – دمشق – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ت: محمود الأرناؤوط)، والأعلام، للزركلي ج٣ ص٣٣٠).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب القطان، أحد أئمة متكلمي أهل السنة، يقال له «ابن كلاب»، قيل: لُقِبَ بهذا اللقب لأنه كان يجتذب الناس الى معتقده إذا ناظر عليه كما يجتذب الكُلَّاب الشيء، توفي سنة ٢٤٥هـ، من مؤلفاته: «الصفات»، و«خلق الأفعال» و«الرد على المعتزلة». (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٢ ص٢٢٩، والأعلام، للزركلي ج٤ ص٩٠).

(٣) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي، كان لسان السنة قبل رجوع الإمام الأشعري عن الاعتزال، والأشعري تأخر عنه ذبًا عن السنة ووفاة، وإن أدركه سنًا، وذكر أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة» أن لابن فورك كتاب «اختلاف الشيخين القلانسي والأشعري». (ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٩٨، وتعليق الكوثري عليه في نفس الصفحة هامش رقم٢).

(٤) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، من علماء الصوفية الذين لهم باع علوم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، وهو شيخ الجنيد وأستاذ أكثر البغداديين، قيل: سُمِّيَ المحاسبي لشدة محاسبته لنفسه، وهو من أهل البصرة مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ، من مؤلفاته: «الرعاية لحقوق الله»، و«مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه». (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٢ ص٢٧٥:٢٧٨، والأعلام، للزركلي ج٢ ص١٥٣، ١٥٤).

(٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون ج١ ص٦٠٣، ٦٠٤.

(٦) بعد اتفاق هذه الجمهرة من العلماء على أن الإمام الأشعري بعد تركه لمذهب المعتزلة قد انتقل إلى مذهب أهل السنة والجماعة، بعد الاتفاق حول هذا القدر، والاتفاق أيضًا على أنه لا تعارض في الأصول بين الاتجاه الذي يمثله كتاب «الإبانة» والذي يُعنى فيه الإمام الأشعري بالأدلة النقلية أكثر من العقلية، وبين الاتجاه الذي يمثله كتاب «اللمع» والذي يعطي فيه الإمام الأشعري مزيد عناية للأدلة العقلية أكثر من اتجاه كتاب «الإبانة»، =

جو الصراع بين غلاة العقليين وغلاة النصيين الذي نشأ فيه الإمام الأشعري: «في هذا الجو نشأ الإمام الأشعري وتربّى في مدرسة الاعتزال، وتشرّب مذهبهم، حتى صار من أكبر نُظَّار هذا المذهب والمنافحين عنه، لكنه لم يلبث أن ظهر فجأة ليُعلن على الناس أن أدلة المذاهب قد تكافأت لديه، وأنه يتبرّأ من مذهب الاعتزال وينسلخ منه، ويعقد العزم على التفتيش عن مذهب الصحابة والتابعين، وتحقيقه وتحريره وإعلانه على الناس والدفاع عنه، مع التصدي للمذاهب الأخرى التي تنحرف عنه يمينًا أو يسارًا، كالمعتزلة والمجسمة (غلاة الحنابلة) والجبرية والخوارج والمرجئة وما جرى مجراهم»(١).

هذا، وهناك ثلة من أتباع مدرسة ابن تيمية المعاصرين الملقبين لأنفسهم بـ«السلفية» يدّعون اتجاهًا آخر غير هذا الذي عليه الكثرة الكاثرة من المترجمين والنظّار من المتقدمين والمعاصرين، هذه الدعوى مفادها أن الإمام الأشعري لم يمرّ بمرحلتين وحسب، بل تَقَلَّبَ في ثلاث مراحل، هي:

### المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال:

حيث اعتنق الإمام الأشعري مذهب المعتزلة لمدة أربعين عامًا، يقرره، ويناظر عليه، ثم رجع عنه، وصرّح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم.

---

= أقول: بعد الاتفاق على هذا، فإن هذه الجمهرة من العلماء يتناقشون حول نسبة جميع ما هو مسطور في كتاب «الإبانة» الذي تحت أيدينا للإمام الأشعري، ثم أيهما أسبق في التأليف «الإبانة» أم «اللمع»؟ أم المسألة أصلًا لا ينبغي أن تشغلنا طالما أنه لا تعارض في الأصول بين اتجاهي «الإبانة» و«اللمع»؟

وسيأتي الكلام على هذا في نهاية هذا المبحث حين الكلام على الردود السابقة على دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري.

(١) أهل السنة والجماعة، للإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب ص٤٠، ٤١ (طبعة دار القدس العربي – القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م).

## المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض و«السنة المحضة»:

في هذه المرحلة سلك الإمام الأشعري طريق ابن كلّاب، الذي يعدّه أتباع مدرسة ابن تيمية موافقًا لهم في مسائل دون أخرى، ومن تلك المسائل التي يخالفونه فيها ويعتبرونها مخالفة لما يقولون عنه بأنه مذهب أهل السنة:

- مسألة حلول الحوادث في ذاته عز وجل، حيث ينزه ابن كلاب الباري تعالى عن حلول الحوادث في ذاته سبحانه، بينما أتباع هذه المدرسة يثبتون حوادث قائمة بذات الله عز وجل، ويسمونها «الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئته تعالى وقدرته».

- وكذا مسألة كلام الله تعالى، حيث يُثبت ابن كلاب كلام الله تعالى على أنه صفة معنى قائمة بذاته تعالى منزهة عن الحروف والأصوات، بينما هم يثبتون الكلام لله تعالى على أنه حروف وأصوات قائمة بذاته سبحانه.

## المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب «أهل السنة والحديث»:

هي المرحلة الختامية للإمام الأشعري – بحسب أصحاب دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري -، وفيها اقتدى بالإمام أحمد بن حنبل(١)، كما قرّر الأشعري في كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة» الذي هو آخر كتبه أو من آخرها، حيث قال في مقدمته: «قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما رُوي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، وُلِدَ ببغداد سنة ١٦٤هـ، فنشأ منكبًا على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفارًا كثيرة شرقًا وغربًا، دعا المأمون في أيامه إلى القول بخلق القرآن، لكن المأمون مات قبل أن يناظره، ولما تولي المعتصم سجنه ١٨ شهرًا لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأُطْلِقَ بعدها سراحه، ولم يصبه شر في زمن الواثق، ولما تولى المتوكل أكرمه وقدَّمَه، تُوفي الإمام أحمد سنة ٢٤١هـ، من مؤلفاته: «المسند»، و«العلل والرجل». (ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ج١١ ص١٧٨:٣٥٨، والأعلام، للزركلي ج١ ص٢٠٣).





معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نضّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولما خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم»[١]، ثم ذكر الإمام الأشعري بعد هذا البيان ثبوتَ الصفات، ومسائلَ في القدر والشفاعة، وبعضَ السمعيات.

ويقرر أصحاب دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من «السلفية» أن المتأخرين الذين ينتسبون إلى الإمام الأشعري أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في «الصفات الخبرية»، مخالفين بذلك ما انتهى إليه الإمام الأشعري في آخر عمره من اتِّباع لمذهب «أهل السنة والحديث» الذي هو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[٢].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، للإمام الأشعري ص٧٠، ٧١ (طبعة دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ت: د/فوقية حسين).

(٢) ينظر مثلًا: محمد رشيد رضا في «مجلة المنار» ج٧ م٢٩ ص٣٥ (مطبعة المنار – مصر، الطبعة الأولى، عدد جمادى الأولى سنة ١٣٤٧هـ-١٩٢٨م)، ومحب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» للذهبي ص٤١ تعليق رقم٢، وص٤٣ تعليق رقم٢، وابن عثيمين في «القواعد المثلى» ص٨٠:٨٦ (طبعة الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، وحافظ بن أحمد حكمي في «معارج القبول» ج١ ص٣٧٨ (طبعة دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ت: عمر بن محمود)، وحماد بن محمد الأنصاري في «أبو الحسن الأشعري» ص٦٣ (طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة - العدد الثالث - رجب ١٣٩٤هـ- فبراير ١٩٧٤م)، ود/مصطفى حلمي في «قواعد المنهج السلفي» ص١٥٢ (طبعة دار الدعوة – الاسكندرية، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ومما يُذكر في هذا الصدد أنه مما يستند إليه هؤلاء في دعواهم المرحلة الثالثة للإمام الأشعري رواية ذكرها ابن كثير قال فيها: «ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال: أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة، الحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبع وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك، الحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريًا على منوال السلف، وهي طريقته في «الإبانة» التي صنفها آخراً». (طبقات الفقهاء الشافعيين، لابن كثير ج١ ص٢١٠

وتجد هؤلاء «السلفية» بناء على هذا لا يعدّون الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، وربما تنازلوا وقالوا بأن الأشاعرة منتسبون لأهل السنة بمفهوم أهل السنة الأعم؛ لكونهم يوافقونهم في باب «الإمامة»، لكنهم خارجون عن مفهوم أهل السنة بمفهومه الأخص، لمخالفتهم فيما دون «الإمامة» من قضايا عقدية، وعلى رأسها «الصفات الإلهية»[١].

ومن اللافت للنظر أننا نجد هذه الدعوى التي يرددها كثير من «السلفية»، يرددها كذلك بعض المستشرقين المهتمين بالدراسات الكلامية، يقول الدكتور حمودة غرابة بعد تساؤل عن أيّ الصورتين – بعد ترك الاعتزال - أسبق للإمام الأشعري: هل الصورة التي يمثلها «اللمع» أم التي يمثلها «الإبانة»؟ وهل بين الصورتين اختلاف؟: «يرى «مكدونالد»[٢] و«تريتين»[٣] و«السلفية» أيضًا أن الصورتين مختلفتان اختلافًا بيّنًا،

---

(طبعة مكتبة الثقافة الدينية، بدون، ت: د/أحمد عمر هاشم وزميله)، دون أن يُبَيِّن ابن كثير من الذين ذكروا؟ وأين ذكروا؟ ومتى ذكروا؟ هكذا ذكرها بصيغة التمريض.

(١) ينظر هذه الادعاءات مثلًا عند سفر الحوالي في كتابه «منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني» ص١٥، ١٦ (طبعة الدار السلفية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

(٢) مستشرق أمريكي الإقامة، بريطاني المولد والتنشئة، وُلِدَ في «جلاسجو» سنة ١٨٦٣م، وتُوفي سنة ١٩٤٣م، صرف نشاطًا كبيرًا في التبشير المسيحي، أهم مؤلفاته: «تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام». (ينظر: موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي ص٥٣٨).

(٣) مستشرق لاهوتي إنجليزي، وُلِدَ سنة ١٨٨١م، وتوفي سنة ١٩٧٣م، تَعَلَّمَ في جامعة «لندن»، وحصل على شهادة اللاهوت من «أكسفورد»، كان له نشاط في التبشير المسيحي في لبنان واليمن، عمل بعدة جامعات منها جامعة «عليكرة» بالهند، وأمضى فيها تسع سنوات، من مؤلفاته: «علم العقائد الإسلامية». (ينظر: موسوعة المستشرقين ص١٥٦).

ويرون مع ذلك أن مرحلة «الإبانة» كانت هي المرحلة الأخيرة التي انتهى إليها رأي الأشعري، وعلى ذلك «جولدزيهر»[١] أيضًا»[٢].

ثم يكشف د/حمودة غرابة عن اختلاف بين «مكدونالد» و«السلفية» في تعليل تَحَوُّل الإمام الأشعري إلى المرحلة الثالثة المدعاة، فيقول: «فمكدونالد يرى أنه (أي: الإمام الأشعري) اضطر إلى ترك الصورة العقلية وإثبات الوجه واليدين وغير ذلك بعد رحيله إلى بغداد في أُخريات حياته ووقوعه تحت نفوذ الحنابلة، ومعنى ذلك أنه اصطنع الصورة الثانية ليكسب بها رضا الحنابلة، وربما ليدفع شرهم أيضًا، فليست المسألة مسألة عقيدة ولكنها مسألة ملاءمة للظروف ومراعاة لما تقتضيه...ولكن «السادة السلفية» لا يرضيهم هذا التعليل، بل يقولون: إن الأشعري قد وصل إلى الحق على مراتب، فترك أولًا مذهب المعتزلة إلى مذهبه العقلي فأصاب نصف الحق، ثم ترك أخيرًا مذهبه العقلي إلى مذهب السلف فأصاب الحق كله ومات مرضيًا عنه»[٣].

نخلص من هذا أن عمدة ما استند إليه أصحاب دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري التي يدّعون أنها يمثلها كتاب «الإبانة»، وأنها تمثل اتباع مذهب أهل السنة على حسب ما يعتقدونه من أنه مذهب أهل السنة، أقول: عمدتهم في ذلك:

---

(١) مستشرق مجري، وُلِدَ سنة ١٨٥٠م وتُوفي سنة ١٩٢١م، كان من أسرة يهودية مرموقة، تعلم في جامعة «بودابست» وجامعة «ليبتسك»، رحل إلى الشرق، ومن ضمن البلاد التي رحل إليها مصر، وقد استطاع أن يحضر بعض الدروس في الجامع الأزهر، عمل بجامعة «بودابست» أستاذًا للغات السامية، من أهم كتبه: «محاضرات في الإسلام». (ينظر: موسوعة المستشرقين ص١٩٧:٢٠٣).

(٢) مقدمة د/حمودة غرابة لتحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٦ (مطبعة مصر، طبعة سنة ١٩٥٥)، ويراجع: مقدمة د/فوقية حسين لتحقيقها لكتاب «الإبانة» ص٧٥، ونشأة الأشعرية وتطورها، للدكتور جلال موسى ص١٩٤ (طبعة دار الكتاب اللبناني – بيروت، بدون)، وقراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري نهاية إشكالية فكرية، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة»، للدكتور حسن الشافعي ج٢ ص١٨٨، ومقدمة تحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٤٨.

(٣) مقدمة تحقيق د/حمودة غرابة لكتاب «اللمع» ص٦، ٧.





- أن المرحلة المتوسطة التي اتبع فيها الإمام الأشعري ابن كلاب لم يكن فيها سنّيًّا محضًا؛ لكون ابن كلاب لم يكن كذلك.

- أن كتاب «الإبانة» هو آخر ما أَلَّفَه الإمام الأشعري، وأنه ليس بينه وبين كتاب «اللمع» وشائج قربى، بل بينهما قطيعة منجهية، فبينما هو في «اللمع» على منهج ابن كلاب فإنه في «الإبانة» على منهج أهل السنة، وأن أتباعه المنتسبين إليه المعروفين بـ«الأشاعرة» إنما تابعوه في مرحلته الثانية التي هي على طريقة ابن كلاب، ولم يسيروا على خطاه في مرحلته الثالثة.

## المطلب الثاني: حول الجهود السابقة في تفنيد الدعوى:

لقد انبرى الدارسون المهتمون بالدراسات الكلامية - خاصة ما يتعلق بالمدرسة الأشعرية - للردّ على هذه المرحلة الثالثة المدعاة للإمام الأشعري، وقد جاءت الردود متنوعة، ويمكننا رصد **خمسة أنواع من الردود**:

### النوع الأول من الردود:

نجد من ينفى أصلًا نسبة كتاب «الإبانة» للإمام الأشعري، معتبرًا كتاب «الإبانة» وكذا «رسالة إلى أهل الثغر» يفيدان رجوع الإمام الأشعري من مذاهب أهل السنة إلى مذهب المجسمة والمشبهة، وهذا الاتجاه يتبناه د/أحمد عبد الرحيم السايح، ويقدم الأدلة على نفي نسبة «الإبانة» و«رسالة إلى أهل الثغر» أصلًا للإمام الأشعري، وهي:

١) أن ابن فورك – على دقته في تتبع أقوال الأشعري من كتبه – لم يذكرهما ضمن هذه الكتب التي رجع إليها في جمع «مجرد مقالات الأشعري».

٢) ثم كيف يرجع الأشعري عن مذهب أهل السنة مع تضلعه فيه إلى مذهب أقرب إلى المشبهة والمجسمة؟

٣) ولماذا لم يتابع تلامذة الأشعري شيخهم في هذه المرحلة الثالثة وكلهم على قدر عظيم من العلم والدين؟[١].

ود/أحمد السايح له سلف في نفي نسبة كتاب «الإبانة» للإمام الأشعري، فالمؤرخ الصفدي[٢] يقول في معرض كلامه عن عبارة منسوبة لإمام الحرمين الجويني[٣]: «أنا أحاشي إمام الحرمين عن القول بهذه المسألة، والذي أظنه أنها دُسَّتْ في كلامه ووضعها الحسدة له على لسانه كما وُضِعَ كتاب «الإبانة» على لسان الشيخ أبي الحسن الأشعري»[٤].

---

(١) ينظر: مقدمته تحقيق د/أحمد السايح لكتاب «مجرد مقالات الإمام الأشعري» لابن فورك ص ث، ج، ويُذكر أن الدكتور يوسف حنانة كاد أن يقارب هذا الموقف من الدكتور السايح؛ إذ بعد عرض المعركة الدائرة حول كتاب «الإبانة» نجده يقول: «وأيًّا كان الأمر، فإن الذي عليه الناس والعمل، أن الأشعري أشعري بالكتب التي تَمَّ تداولها وتَمَّتْ صحة نسبتها لصاحبها، أما ما اختلف فيه الناس وتضاربت حوله الأقوال، فلا يصح أن يكون عمدة لأهل المذهب في الاعتماد عليه، والاعتداد به». (سيرة الإمام الأشعري بين الحقائق والأوهام، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة»، للدكتور يوسف حنانة ج١ ص٢٤٤).

(٢) هو صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، أديب، مؤرخ، كثير التصانيف، وُلِدَ في صفد بفلسطين سنة ٦٩٦هـ وإليها نسبته، وتَعَلَّم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتُوفي فيها سنة ٧٦٤هـ، من مؤلفاته: «الوافي بالوفيات» في التراجم، و«نكت الهميان» ترجم به فضلاء العميان. (ينظر: الدرر الكامنة، لابن حجر ج٢ ص٢٠٧:٢١٠، والأعلام للزركلي ج٢ ص٣١٥، ٣١٦).

(٣) هو ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، أصولي متكلم فقيه شافعي بارز، وُلِدَ في جوين (من نواحي نيسابور) سنة٤١٩هـ، ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتى ودَرَّسَ، جامعًا طرق المذاهب، ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك «المدرسة النظامية» فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، تُوفي سنة٤٧٨هـ، من مؤلفاته: «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية»، و«البرهان» في أصول الفقه. (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٥ ص١٦٥:٢٢٢، والأعلام، للزركلي ج٤ ص١٦٠).

(٤) الوافي بالوفيات، للصفدي ج١٩ ص١١٧ (طبعة دار إحياء التراث – بيروت، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ت: أحمد الأرنؤوط وزميله).

وجدير بالذكر أن هذا القول لم يرتضه الجمهرة من أهل العلم، نعم هم يتناقشون في أن «الإبانة» الذي بين أيدينا جميعه هو من تصنيف الإمام الأشعري أم وقع فيه تحريف؟ وأيهما أسبق «الإبانة» أم «اللمع» على ما سيظهر من أنواع الردود الآتية.

**النوع الثاني من الردود:**

ونجد من اعترف بنسبة كتاب «الإبانة» للإمام الأشعري لكن قال بأن «الإبانة» الذي بين أيدينا ليس جميعه للأشعري بل تَعَرَّض للتحريف، والأشعري في أصل هذا الكتاب هو على طريقة التفويض في «الصفات الخبرية» الذي هو مذهب السلف، يقول الشيخ الكوثري(١) في وصفه لـ«الإبانة»: «وهي على طريقة المفوضة في الإمساك عن تعيين المراد، وهو مذهب السلف، وأراد (أي: الأشعري) به انتشال المتورطين في أوحال التشبيه من الرواة، والتدرّج بهم إلى مستوى الاعتقاد الصحيح، ومذهب الخلف ترجيح أحد المعاني المحتملة مما يوافق التنزيه؛ استنادًا على قرائن الكلام، واستعمال أهل اللسان، فالسلف والخلف متفقان في صرف المتشابه عن ظاهره الموهم للتشبيه، فالفريق الأول يكتفي بالتأويل الإجمالي، ويتورّع عن الخوض في تعيين المراد، والفريق الثاني اضطر إلى

---

(١) هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، يُلَقَّب بالأستاذ، فقيه حنفي، جركسي الأصل، وُلد ونشأ في قرية من أعمال «دوزجة» بشرقي الآستانة سنة ١٢٩٦هـ، وتفقه في جامع «الفاتح» بالآستانة، ودرَّس فيه، وتولى رئاسة مجلس التدريس، وعُيِّن وكيلًا للمشيخة الإسلامية في الدولة العثمانية، وقد اضطهده «الاتحاديون»، ولما وُلِّي «الكماليون» وجاهروا بالإلحاد، أُريدَ اعتقاله، فسافر إلى الإسكندرية سنة ١٣٤١هـ، وتَنَقَّلَ زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر في القاهرة، وعمل فيها موظفًا في «دار المحفوظات»، وتُوفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ، له أعمال كثيرة خدم بها المذهب الحنفي أصولًا وفروعًا، وله أعمال في علم الكلام جُمِعَتْ في كتاب واحد تحت عنوان «العقيدة وعلم الكلام من أعمال الإمام محمد زاهد الكوثري». (تراجع ترجمة الكوثري التي أَعَدَّها تلميذه أحمد خيري، وهي مطبوعة ضمن كتاب «مقالات الكوثري» ص٤٩١:٥٤٧ (المكتبة التوفيقية – القاهرة، بدون)، والأعلام، للزركلي ج٦ ص١٢٨، ١٢٩).

تطلّب ذلك؛ دفعًا لتمويهات المشبهة...والنسخة المطبوعة في الهند من «الإبانة» نسخة مُصَحَّفَة مُحَرَّفَة، تلاعبتْ بها الأيدي الأثيمة، فتجب إعادة طبعها من أصل وثيق»[١].

ومِن هؤلاء مَن يهتم أيضًا ببيان أن ابن كلاب لا يُعَدُّ خارجًا عن معتقد أهل السنة وإن اختلف مسلكه الكلامي مع مسلك المُحَدِّثين الواقفين عند ما جاءت به نصوص الوحي[٢].

---

(١) ينظر: تعليق الشيخ الكوثري على «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر ص١١٩، تعليق رقم (٣)، وراجع أيضًا له: تقديمه لكتاب «إشارات المرام من عبارات الإمام» للبياضي ص٧ (طبعة زمزم ببلشرز، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ت: الشيخ يوسف عبد الرازق)، ويراجع: نظرة علمية في نسبة كتاب «الإبانة» جميعه إلى الإمام الجليل ناصر السنة أبي الحسن الأشعري، للشيخ وهبي سليمان غاوجي ص٩ (طبعة دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، ونظرات في كتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للدكتور فتحي عبد الرازق ج١ ص٢٧٩، وعقيدة الإمام الأشعري في «الإبانة»، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، لمجد مكي ج٢ ص٣٦٥، والإمام أبو الحسن الأشعري نحو وسطية إسلامية تواجه الغلو والتطرف، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، لأبي بكر أحمد المليباري ج٣ ص١٥٩، وأهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم، لحمد السنان وفوزي العنجري ص٦١ (طبعة دار الضياء، بدون)، وإمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري، للدكتور عبد القادر محمد الحسين ص٨٧ (طبعة المشرق للكتاب – دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

وقد سَلَّم الدكتور عبد الرحمن بدوي لما قاله الشيخ الكوثري بشأن تحريف نسخة «الإبانة» المطبوعة في الهند، وطرح نقاش بعض المستشرقين بشأن نسبة كل ما في «الإبانة» للإمام الأشعري. (ينظر: مذاهب الإسلاميين «المعتزلة – الأشاعرة – الإسماعيلية – القرامطة – النصيرية»، للدكتور عبد الرحمن بدوي ص٥١٧ (طبعة دار العلم للملايين، سنة ١٩٩٧م).

(٢) ينظر: تعليق الشيخ الكوثري على «تبيين كذب المفتري» ص٦٩٨ تعليق رقم (٢)، وأهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم، لحمد السنان وفوزي العنجري ص٤٧، ويُذكر أن لأستاذنا د/حسن محرم بحثًا حول ابن كُلَّاب استفاض فيه في بيان سُنِّيَّة ابن كلاب وأثره على الإمام الاشعري ومدرسته. (ينظر: عبد الله بن سعيد بن كلاب شيخ أبي الحسن الأشعري حياته ومكانته بين أئمة أهل السنة، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، د/حسن محرم ج١ ص١٢٧:١٧٢).

**النوع الثالث من الردود:**

لجأ البعض لترجيح كون «الإبانة» كان في بدايات انتقال الإمام الأشعري من دائرة الاعتزال إلى دائرة أهل السنة، بينما يمثل «اللمع» صورة الأشعري السُّنِّيَّة الأخيرة التي عليها أتباعه، مبررين ذلك بأسباب نفسية وأسباب علمية، يُرجح هذا الاتجاه د/حمودة غرابة حيث يقول: «إن الصورة السلفية التي يصورها «الإبانة» قد صدرت أولًا، وأن الصورة العقلية التي يصورها «اللمع» قد صدرت أخيرًا، وأنها كانت تحديدًا لمذهب الأشعري في وضعه النهائي الذي مات صاحبه وهو يعتنقه ويعتقد صحته ويدافع عنه ويرضاه لأتباعه، وأسباب هذا الترجيح عندي كثيرة»[١].

ثم ذكر أن أسباب الترجيح منها ما هو نفسي، ومنها ما هو علمي، أما النفسي، فالأشعري في «الإبانة» أكثر تحمسًا وأعظم تحاملًا على المعتزلة منه في «اللمع»، وهذه مظاهر نفسية يجدها المرء من نفسه تجاه رأيه الذي يتركه إبان تركه.

وأما الأسباب العلمية، فالأشعري في «اللمع» أكثر إحاطة بمسائله وإجادة في عرض أدلته، مما يدل على أن «اللمع» لم يُكتب إلا في الوقت الذي نضج المذهب فيه في نفس صاحبه.

ود/غرابة مع تعامله هذا مع صورة الأشعري التي يقدمها «الإبانة» والصورة التي يقدمها «اللمع» لا يرى تناقضًا بين الصورتين؛ إذ ليست ثمة أصول متعارضة بين الكتابين، لكن ليس إلا ما سبق ذكره من فرق بين «الإبانة» و«اللمع»[٢].

---

(١) مقدمة د/حمودة غرابة لتحقيقه لكتاب «اللمع» ص٧.

(٢) ينظر: المصدر السابق ص٧، ٨، ويراجع للدكتورة غرابة أيضًا: «أبو الحسن الأشعري» ص٦٧، ٦٨، وهذا الرأي هو نفس رأي الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «أعلام وعلماء» ص٢١٢، ٢١٣، وكذا: د/فوقية حسين في مقدمتها لتحقيق كتاب «الإبانة» ص٨٠، ود/جلال موسى في كتابه «نشأة الأشعرية وتطورها» ص١٩٤، ١٩٥، ود/رجب خضر في بحثه «موقف الإمام الأشعري من المتشابهات»، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»

**النوع الرابع من الردود:**

هناك من اهتم بالمقارنة بين كتب الإمام الأشعري التي بين أيدينا وعلى رأسها «الإبانة» و«اللمع» التي هي محل الجدل والنقاش، مقررًا أن هناك اختلافًا بين الكتابين في كمية العقائد التي احتواها كل منهما، وفي طريقة عرض هذه العقائد، وهذه الثانية هي محك النظر، حيث إن الأشعري في «الإبانة» يُبَيِّن عقيدة أهل السنة على منهج المحدثين وخصوصًا الإمام أحمد، وهو في «اللمع» يُبَيِّن عقيدة أهل السنة أيضًا لكن على طريقة أهل النظر المتكلمين من أمثال ابن كلاب والحارث المحاسبي، يقول الشيخ الغرسي بعد عقده للمقارنة سابقة الذكر ثم إردافها بعرض الشبهة المتعلقة بالمرحلة الثالثة المدعاة للإمام الأشعري: «ونحن إذا اعتمدنا في بيان عقيدته[١] على هذه الكتب الأربعة[٢] التي وصلتْ إلى أيدينا، فإننا لا نجد فيها شيئًا يدل على المرحلة المتوسطة التي يدعيها هؤلاء الناس (السلفية) لهذا الإمام، ثم إن الذين يُثبتون المرحلة المتوسطة يقولون: إن الشيخ أبا الحسن كان فيها على عقيدة ابن كلاب، وابن كلاب كان من أئمة أهل السنة على طريقة أهل النظر، وليس له عقيدة تخالف عقيدة السلف، نعم كانت له آراء في بعض المسائل المتعلقة بالعقيدة، خالف فيها آرا بعض أئمة السلف، وأين العقيدة من الرأي والمذهب؟! الإمام أبو الحسن قد وافق ابن كلاب في بعض هذه الآراء، وأما المنهج فإن الإمام قد سار على منهج ابن كلاب في الجمع بين العقل والنقل في الاستدلال على العقائد كما قدمنا ذلك، ومنهج الاستدلال شيء والعقيدة شيء آخر،

---

ج٢ ص٤١٥، ود/محمد الطاهر الميساوي في بحثه «جهود الإمام الأشعري في تأسيس الحوار مع الآخر» بحث ضمن أعمال المؤتمر سابق الذكر ج٣ ص٣٩٩.

(١) الضمير يعود على الإمام الأشعري.

(٢) يقصد: كتب: «الإبانة»، و «مقالات الإسلاميين»، و«رسالة إلى أهل الثغر»، و «اللمع».

فهذه ثلاثة أمور يجب أن يُفَرَّقَ بينها: العقيدة، والمذهب، ومنهج الاستدلال على العقيدة، يحصل من الخلط بينها مشاكل عظيمة، وأخطاء جسيمة»[١].

ثم يُبين الشيخ الغرسي أنه بناء على ما سبق لم يبقَ معنى للسؤال القائل: هل «اللمع» متقدم على «الإبانة» أم العكس؟ وذلك لأن الذين يرددون هذا السؤال يعتقدون أن بينهما اختلافًا في العقيدة، فيريدون أن يجعلوا من المتأخر ناسخًا للمتقدم، حتى يكون المتأخر هو المذهب الذي استقر عليه الأشعري، أَمَا وقد ظهر أنه لا خلاف بينهما فلا معنى لهذا السؤال[٢].

**النوع الخامس من الردود:**

هذا النوع من الردود يؤكد على أنه لا يمكن أن يُختزل الإمام الأشعري في كتاب «الإبانة»، الذي هو كما يقول العلامة د/حسن الشافعي: «ليس أهم كتبه على الإطلاق، ولا أوثقها نسبة إليه، وأن من يختزلونه في هذا الكتاب يقررون ذلك دون دليل يرتضيه المنهج العلمي في ترتيب كتب المؤلفين، وقد نُسِبَ إلى الرجل: ٢٦ كتابًا رآها أكثر من تلميذ مباشر، أو من تلاميذ تلاميذه، واقتبسوا منها قطعًا وشواهد»[٣].

ويبين أستاذنا د/حسن الشافعي أنه لم يعد هناك مجال للحيرة حول شخصية الإمام الأشعري، من حيث أيّهما هو الأشعري وإِلَامَ انتهى: هل إلى الصورة «الحنبلية» التي

---

(١) عقيدة الإمام الأشعري أين هي من عقائد السلف، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للشيخ صالح الغرسي ج٢ ص٢٣٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، وراجع من أعمال «مؤتمر أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة»: تراث الإمام الأشعري بين المطبوع والمخطوط، لمحمد عزيز شمس ج١ ص٢٦٢، وبين العقل والنقل في منهج الإمام الأشعري، للدكتور محمد عبد الستار نصار ج٢ ص١٦٥، وواقعية المنهج الكلامي عند الإمام أبي الحسن الأشعري، للدكتور إبراهيم محمد زين ج٢ ص٢٣.

(٣) قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري نهاية إشكالية فكرية، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للدكتور حسن الشافعي ج٢ ص١٨٢، ١٨٣.





يُعنى فيها فقط بالدليل النقلي أم إلى الصورة «الكلامية» التي يُناظِر فيها عن مذهب أهل السنة مستخدمًا أساليب الجدل والمناظرة التي خَبَرَها أيام أن كان على طريق الاعتزال.

وإنما لم يعد هناك مجال لهذه الحيرة – كما يرى د/الشافعي – لأن كتاب «مجرد مقالات الأشعري» لابن فورك والذي اكتشفه وحققه المستشرق «دانيال جيماريه»[١] قد حَسَمَ بصورة نهائية حقيقة الأشعري ومذهبه، وأنه هو ذلك المذهب الوسطي العتيد الذي عليه أتباعه[٢].

ويُعَلِّق أستاذنا د/الشافعي على فريقي «السلفية» والمستشرقين الذين ينسبون مرحلة ثالثة للإمام الأشعري تخالف ما عليه «الأشاعرة»، فيقول: «ولكن كلا الجانبين لم يشرحا لنا: لماذا يفتري المباشرون وغيرهم من تلاميذه على شيخهم، وكيف لهم أن يوردوا النصوص العديدة من كتبه، مما يصوره في صورة مخالفة لكتاب «الإبانة»؟ فهل هم أقل معرفة به من دعاة السلفية المعاصرة، وباحثي الغرب قليلي الاطلاع؟ أيّ الفريقين أهدى سبيلًا؟»[٣].

---

(١) مستشرق فرنسي وُلِدَ سنة ١٩٣٣م، عضو بالأكاديمية الفرنسية، وشغل منصب مدير معهد الدراسات التطبيقية العليا بباريس لمدة ربع قرن، متخصص في علم الكلام المعتزلي والأشعري، مُحَقِّق ومُتَرْجِم لنصوص عربية. (ينظر: مقال في جريدة اليوم السابع بعنوان: قرأت لك، أعده: أحمد إبراهيم الشريف، بتاريخ٢٧/٨/٢٠٢٠م).

(٢) ينظر: قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري نهاية إشكالية فكرية، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للدكتور حسن الشافعي ج٢ ص١٨٠، ويراجع للدكتور الشافعي أيضًا: مقدمة تحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٢٢، ٢٣، ويراجع: نظرات في كتاب «مجرد مقالات الأشعري» بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للدكتور عمار طالبي ج١ ص٣٥٣، ومنهج الأشعري في قراءة النص، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للدكتور مصطفى بن حمزة ج٢ ص٥٩.

(٣) قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري» للدكتور حسن الشافعي ج٢ ص١٨٨.





ثم يذكر د/الشافعي أن المستشرق الهولندي «فنسنك»[١] أحس في أعماقه بالتساؤلات حول الأشعري وصورتيه اللتين تقدمهما «الإبانة» وكتبه الأخرى خصوصًا «اللمع»، وأنه تساءل: أيمكن أن يكون الأشعري ذا وجهين؟ ويعلن «فنسنك» رجاءه أن يُكتشف من مؤلفات الشيخ ما يزيل هذا الإبهام، ويُحدد الصورة الحقيقية لمذهبه.

ويجيبه د/الشافعي: «ولعلنا نضيف هنا جوابًا لتساؤلاته التي مضى عليها ثمانون عامًا، أن «المجرد» هو ذلك النص الحاكم الذي تطلع إليه»[٢].

**وعطفًا على ما ذكره شيخنا العلامة د/الشافعي فإن الباحث يقول:** إنه إذا كان ابن فورك - صاحب «المجرد»- قد تَلَقَّى علم الكلام من أبي الحسن الباهلي تلميذ الإمام الأشعري، وسطر آراء الأشعري من ٣٢ كتابًا[٣] من كتبه التي فُقِدَ جُلها، فإن لدينا تلميذًا مباشرًا للأشعري – بل من أعيان تلامذته - تَلَقَّى منه مباشرة ودرس على يديه، وبين أيدينا شيء من تراثه الذي تركه.

**ويحاول هذا البحث أن يُثبت من خلال هذا التراث لابن خفيف أن الأشعري هو الأشعري الذي على مذهبه الأشاعرة، وليس ثمة أشعري خالفه الأشاعرة وتابعوا أشعريًا آخر قد برئ منه الأشعري المُتَخَيَّل لدى أصحاب دعوى المرحلة الثالثة.**

**ويأمل الباحث أن يكون هذا نوعًا آخر من الردود على دعوى المرحلة الثالثة المدعاة للأشعري يُضاف إلى جهود الأعلام السابقين في هذا المضمار.**

---

(١) مستشرق هولندي، وُلِدَ سنة ١٨٨٢م، وتُوفي سنة ١٩٣٩م، خلف «اسنوك» في كرسيه بجامعة «ليدن» سنة ١٩٢٧م، كان ابتداء إنشاء المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي على يديه، من مؤلفاته: «العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي». (ينظر: موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي ص٤١٧).

(٢) قراءة جديدة في إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري» للدكتور الشافعي ج٢ ص١٨٩.

(٣) ينظر: نظرات في كتاب «مجرد مقالات الأشعري» بحث ضمن «أعمال مؤتمر الإمام أبو الحسن الأشعري»، للدكتور عمار طالبي ج١ ص٣٥٥.

## المبحث الثالث

## تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري

## من خلال تراث تلميذه ابن خفيف الشيرازي

### المطلب الأول: ثلاث حقائق بين يدي تفنيد الدعوى من خلال تراث ابن خفيف:

**ثمة ثلاث حقائق ينبغي أن تُقَرَّرَقبل الشروع في تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من خلال تراث تلميذه ابن خفيف الشيرازي:**

**الحقيقة الأولى:** إن المرحلة الثالثة المدعاة للإمام الأشعري لو كانت حقيقية، وأن فيها بالفعل رجوعًا ومخالفة واضحة لطريقة ابن كلاب ولمنهج «اللمع»، أقول: لو كانت تلك المرحلة كذلك لنشرها الإمام الأشعري وأذاعها بين الناس كما نشر من قبل تخليه عن مذهب الاعتزال بمحضر من الناس، فليس الأشعري – على دينه وتقواه وتحرّيه للحق – مَنْ ينشر عقيدة ما ويُنَظِّر لها، ثم يظهر له أن فيها مخالفة للمعتقد الحق، فإذا هو يَضِنُّ بإعلان توبته منها، ولا يحرص على توبة مَن تلقوا منه هذا المعتقد الذي رجع عنه - بحسب كلام مدعي المرحلة الثالثة -.

ولو حدثتْ تلك التوبة وهذا الانتقال من الكلابية إلى ما يقال عنه منهج السلف، لذاع هذا الأمر وانتشر وسارت به الركبان وعلمه الناس هنا وهناك، خصوصًا تلامذة الأشعري الذين تلقوا منه؛ فالأشعري لم يكن بالنكرة المغمور الذي لا تُعرف أحواله،

خاصة بعد تركه مذهب الاعتزال وانتصابه للرد عليهم وعلى غيرهم، بل العكس هو الصحيح، يقول ابن خفيف في وصف لقائه بالإمام الأشعري مُصورًا حال الأشعري بعد تركه لمعتقد المعتزلة: «دعاني أرب، وحب أدب، ولوع ألب، وشوق غلب، وطلب يا له من طلب، أن أحرك نحو البصرة ركابي، في عنفوان شبابي، لكثرة ما بلغني، على لسان البدوي والحضري، من فضائل شيخنا أبي الحسن الأشعري؛ لأستسعد بلقاء ذلك الوحيد، وأستفيد مما فتح الله تعالى عليه من ينابيع التوحيد؛ إذ حاز في ذلك الفن قصب السباق، وكان ممن يُشار إليه بالأصابع في الآفاق، وفاق الفضلاء من أبناء زمانه، واشتاق العلماء إلى استماع بيانه»[١].

وقد عَمَّرَ ابن خفيف وعاش بعد وفاة الأشعري ما يقرب من نصف قرن من الزمان[٢]، أتراه – «وهو من أعيان تلامذته»[٣]- لو كانت قد حدثتْ تلك المرحلة الثالثة المدعاة للإمام الأشعري فإنه لا يعرفها أو لا يسمع بها على الأقل!! خاصة وقد كان ابن خفيف كثير السفر والترحال لمختلف الأرجاء حتى قال التاج السبكي: «سافر مشرقًا ومغربًا»[٤].

وإذا كان حال ابن خفيف على هذا النحو السابق، فالسؤال المطروح: أيكون مُدَّعو المرحلة الثالثة للإمام الأشعري أعلم بالأشعري ومراحله الفكرية من ابن خفيف الذي قال عن شيخه: «فتعلقت بأهدابه، لخصائص آدابه، ونافست في مصافاته، لنفائس صفاته، ولبثت معه برهة، أستفيد منه في كل يوم نزهة، وأدرأ عن نفسي للمعتزلة شبهة»[٥].

---

(١) نهاية المرام في دراية الكلام، لضياء الدين الرازي ل٣٨١/أ، ويراجع: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص١٥٩.

(٢) الإمام الأشعري توفي سنة ٣٢٤هـ، وابن خفيف توفي سنة٣٧١هـ.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص١٥٠.

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٥) نهاية المرام في دراية الكلام، لضياء الدين الرازي ل٣٨٣/أ، ويراجع: طبقات الشافعية الكبرى ج٣ ص١٦٣.





**الحقيقة الثانية:** إن ابن خفيف لم يتصل بالأشعري ويتتلمذ عليه وحسب، بل المصادر تمدنا بمعلومات عن أنه قد اتصل بتلميذين من أخص تلامذة الاشعري، أحدهما هو أبو الحسن الباهلي الذي رُوي عنه قوله: «كنت أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب البحر»[١]، والآخر هو بندار بن الحسين[٢] الذي عُرِفَ بأنه خادم أبي الحسن الأشعري[٣].

**وتمدنا هذه المصادر عن معلومات تفيد أن ثمة معايشة قد حصلت وحوارات قد جرت بين ابن خفيف وبين هذين التلميذين للأشعري:**

- أما عن أبي الحسن الباهلي، فيقول صاحب «سيرة الشيخ الكبير»: «سمعت من أبي الحسن الباهلي: ذات يوم جرى بيني وبين أبي عبد الله بن خفيف عتاب، فهتف بي هاتف في النوم: يا أبا الحسن، أتعاتب رجلًا من أهل الدين واليقين»[٤].

- وأما عن بندار خادم الأشعري، فيقول السلمي[٥] عنه: «وبينه وبين أبي عبد الله بن خفيف مفاوضات في مسائل شتى»[٦]، ويحدد ابن عساكر مسألة من هذه المسائل فيقول:

---

(١) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٤٨، وتاريخ الإسلام، للذهبي ج٧ ص٤٩٤.

(٢) هو أبو الحسين بندار بن الحسين بن محمد بن المهلب، من أهل شيراز، سكن أرجان، وكان عالمًا بالأصول، له اللسان المشهور في علم الحقائق، وكان أبو بكر الشبلي يكرمه ويعظم قدره، تُوفي سنة ٣٥٣هـ، وغسله أبو زرعة الطبري، من كلامه: «لا تخاصم لنفسك فإنها ليست لك دعها لمالكها يفعل بها كل ما يريد». (ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي ص٣٤٩:٣٥٢، وتبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٤٩:٣٥٣).

(٣) ينظر: تبيين كذب المفتري ص٣٤٩، وطبقات الشافعية الكبرى ج٣ ص٢٢٤.

(٤) سيرة الشيخ الكبير، للديلمي ص٢٤٠.

(٥) هو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري، وُلِدَ بنيسابور سنة ٣٢٥هـ وتُوفي بها سنة ٤١٢هـ، قدم بغداد مرات وحَدَّث بها عن شيوخ خراسان، كان رأسًا في أخبار الصوفية وطبقاتهم وتفسيرهم، من مؤلفاته: «حقائق التفسير»، و«طبقات الصوفية». (ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ج٣ ص٤٢، والأعلام، للزركلي ج٦ ص٩٩).

(٦) طبقات الصوفية، للسلمي ص٣٤٩.

«ردّ (أي: بندار) على محمد بن خفيف في مسالة الإغانة[١] وغيرها، حين ردّ محمد بن خفيف على أقاويل المشايخ، فَصَوَّبَ بندار أقاويل المشايخ وردّ عليه ما ردّ عليهم»[٢].

**وهكذا لا يكون ابن خفيف قد أخذ من الأشعري وحسب، بل اتصل والتقى بتلامذته بل أخص تلامذته الذين نهلوا من معينه وحملوا الراية من بعده.**

**الحقيقة الثالثة:** إن ابن خفيف مُؤْتَمَن فيما ينقله وفيما يرويه؛ فقد وَثَّقَه العلماء وأثنوا على دينه وعلمه، وسأكتفي ههنا بنقل شهادات ثناء للعلماء الذين ينتسب لهم مدعو المرحلة الثالثة للإمام الأشعري وحاملو لوائها من «السلفية»:

- فهذا ابن تيمية يجعل ابن خفيف من الشيوخ الكبار الذين هم محل اقتداء، وينقل من بعض كتبه ويذكره بلفظ «الإمام»، فيقول: «وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، فقال في آخر خطبته...»[٣]، ونقل ابن تيمية كلامًا كثيرًا عن ابن خفيف في مسألة صفات الله تعالى الخبرية[٤]، وغيرها من المسائل.

---

(١) ذكر السلمي في «طبقات الصوفية» ص٢٩٦ عن بندار قوله: «استحسنت لأبي بكر بن طاهر قوله في الإغانة إن الله أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته من بعده من الخلاف وما يصيبهم فيه، فكان إذا ذكر ذلك وجد إغانة في قلبه منه، فاستغفر لأمته ﷺ».

(٢) تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٣٤٩، وبراجع: تاريخ الإسلام، للذهبي ج٨ ص٥٤، وطبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٢٢٤.

(٣) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية ص٤٠٣ (طبعة دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ت: د/حمد التويجري).

(٤) حينما ينقل ابن تيمية عن الإمام الأشعري أو عن أحد من الأشاعرة المتقدمين فيما يخص «الصفات الخبرية» فإنما ينقل بهدف بيان الموافقة في أصل إثبات هذه الصفات، مع إقراره أن الأشاعرة يثبتونها وفق أصول يخالفهم هو فيها، وسيأتي مزيد عن هذا في المطلب الثالث من هذا المبحث.





- وهذا ابن القيم[١] تلميذ ابن تيمية السـائر على دربه يذكر أقوال ابن خفيف في الصفات الخبرية من كتابه سابق الذكر الذي نسبه له ابن تيمية، يذكرها ابن القيم مع أقوال غيره من الصوفية تحت عنوان: «أقوال الزهاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم»[٢].

- وهذا تلميذ آخر لابن تيمية وهو الحافظ الذهبي[٣] - الخبير بالرجال وكل كلمة عنده في هذا الميدان بميزان - يختم ترجمته لابن خفيف بقوله: «قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل، وعلو السند، والتمسك بالسُّنَنِ، ومُتِّعَ بطول العمر في الطاعة»[٤].

وإنما اقتصرتُ على نقل هذا الثناء والتقدير لابن خفيف من ابن تيمية ومدرسته خصوصًا – وإلا فثناء العلماء الآخرين على ابن خفيف لا يُحصى كثرة –؛ ليكون ابن خفيف فيما ينقله محل ثقة عند دعاة المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من «السلفية» المنتسبين لابن تيمية.

وعطفًا على هذه الحقائق الثلاث سابقة الذكر، فإن الباحث يقرر أن ما سطره ابن خفيف في كتبه التي بين أيدينا وما نُقل عنه ينفي تمامًا دعوى وجود مرحلة ثالثة للإمام

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، وُلِدَ في دمشق سنة ٦٩١هـ وتُوفي بها سنة ٧٥١هـ، تتلمذ لابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وسُجن معه في قلعة دمشق، وأُطلق بعد موت ابن تيمية، من مؤلفاته: «إعلام الموقعين»، و«مدارج السالكين». (راجع: الدرر الكامنة، لابن حجر ج٥ ص١٣٧:١٤٠، والأعلام، للزركلي ج٦ ص٥٦، ٥٧).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم ج١ ص٤١٢ (طبعة دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة الأولى سنة ١٤٣١هـ، ت: زائد النشيري)، وينظر: نفس المصدر ج١ ص٤٢٦.

(٣) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، الحافظ المؤرخ، قال عنه التاج السبكي: «شيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل كأنما جُمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها»، تركماني الأصل، من أهل «ميافارقين»، وُلد في دمشق سنة ٦٧٣هـ وتُوفي بها سنة ٧٤٨هـ، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرًا من البلدان، من مؤلفاته: «تاريخ الإسلام»، و«سير أعلام النبلاء». (ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٩ ص١٠٠:١٢٣، والأعلام، للزركلي ج٥ ص٣٢٦).

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٦ ص٣٤٦، ٣٤٧.

الأشـــعري تَمَثَّلَ فيها ما يقال عنه بأنه «معتقد السـلف» وفارق فيها ما عليه ابن كلاب، وهذا ما سنعرفه في الأسطر القادمة.

هذا، ويمكن تقسـيم تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشـعري من خلال تراث ابن خفيف إلى ثلاث ركائز:

**الأولى:** تراث ابن خفيف يفيد رجحان أن «اللمع» هو المُصَـوِّر النهائي لطريقة الإمام الأشعري في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة.

**الثانية:** تراث ابن خفيف يُثبت أنه لا منافاة بين «اللمع» و«الإبانة».

**الثالثة:** تراث ابن خفيف يؤكد على أنه لا تعارض بين مدرسـة أهل الحديث ومتكلمي أهل السنة، ومنهم الأشعري، بل العلاقة بينهما علاقة تعاضد.

فمن خلال التدليل على هذه الركائز الثلاث يظهر للمنصـف أنه ليس ثمة مرحلة ثالثة للإمام الأشـعري خالفه فيها تلامذته، بل هم على أصـوله التي انتهى إليها منذ تَرْكِه للاعتزال.

يبقى التدليل على تلك الركائز الثلاث التي أُجْمِلَ ذكرها، وهو موضـوع المطالب الثلاث الآتية.

## المطلب الثاني: تراث ابن خفيف يفيد رجحان أن «اللمع» هو المُصَـوِّر النهائي لطريقة الإمام الأشعري:

يفيدنا تراث ابن خفيف الذي كتبه أو نُقل عنه رجحانَ أن «االلمع» هو الصـورة التي انتهى إليها الإمام الأشعري، والذي يدلنا على هذا أمران:





**الأول:** التوافق في الأصول العقدية بين ما قرره ابن خفيف في «المعتقد الصغير» - وكذا في «كتاب الاقتصاد» خاصة في الفصل الذي عقده لقضية «الإخلاص في التوحيد» - وبين ما قرره الإمام الأشعري في «اللمع».

**الآخر:** أن ابن خفيف ارتضى «اللمع» ليكون هو الكتاب الذي يُؤَسِّسُ ويُرَبِّي عليه تلامذته ومريديه.

**أما بالنسبة للأمر الأول:**

فابن خفيف سَطَّرَ كتابه «المعتقد الصغير» ليقرر فيه عقائد أهل السنة والجماعة، حيث صَدَّرَه بقوله: «هذا معتقدي ومعتقد الأئمة السادة، والعلماء الصِّيد[1] القادة، الذين قبلي وفي زماني، من أهل السنة والجماعة»[2].

وكأن ابن خفيف قد أحس بأنه سيأتي من يُثير الإشكالات حول الصورة التي انتهى إليها شيخه أبو الحسن الأشعري، فَدَوَّن ابن خفيف – وهو الثقة الدَّيِّن المؤتمن على ما يقول بشهادة خصوم الأشاعرة - هذا المعتقد الذي رضي أن يلقى الله تعالى عليه، دَوَّنَه ليكون وثيقة شاهدة على ما يعتقده هو ومَنْ عرفهم من أهل السنة في زمانه ومِن قبل زمانه، وفي القلب منهم بلا شك الإمام الأشعري.

(١) جاء في «مقاييس اللغة» ما نصه: «(صَيَدَ) الصاد والياء والدال أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ركوب الشيء رأسه ومُضِيُّه غير ملتفت ولا مائل، من ذلك الصَّيَد، وهو أن يكون الإنسان ناظرًا أمامه، قال أهل اللغة: الأَصْيَد: المَلِك، وجمعه الصِّيدُ، قالوا: وَسُمِّيَ بذلك لقلة التفاته». (مقاييس اللغة، لابن فارس ج٣ ص٣٢٥ (طبعة دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ت: عبد السلام هارون).

(٢) المعتقد الصغير، لابن خفيف ص٢٥٧ (طبعة دار الرازي – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٤هـ - ٢٠٢٢م، ت: د/إبراهيم سويلم وزميله).

والمطالع للكتابين، كتاب «اللمع» وكتاب «المعتقد الصغير»، يلاحظ نَفَسَ الإمام الأشعري في خطبة «المعتقد الصغير»، بل وبعض عباراته أيضًا كما يقول أستاذنا د/حسن الشافعي[١].

وإضافة لِنَفَسِ الإمام الأشعري وبعض عباراته في «اللمع» التي ضَمَّنَها ابن خفيف في «المعتقد الصغير»، فإن الأفكار بينهما أيضًا متطابقة، لكن البحث هنا وهو يثبت المطابقة بين الكتابين سيركز على أهم الأصول العقدية التي مَيَّزَتْ المدرسة الأشعرية على مرّ طبقاتها، وفيها مخالفة لتلك المرحلة الثالثة المدعاة للإمام الأشعري.

تلك الأصول التي أدرك ابن خفيف مدى أهميتها فلم يَفُتْهُ وهو يكتب كتابًا «للمبتدئ من المريدين مما لا بد لهم من معرفة جُمَل علوم المتصوفة»[٢]، لم يفته أن يؤكد عليها كأصول ينبغي على المريد أن يعتقدها ليحقق «الإخلاص في التوحيد»[٣].

أما عن هذه الأصول فهي:

١) يقرر ابن خفيف في «المعتقد الصغير» تنزيه الله تعالى عن أيّ مشابهة له مع مخلوقاته فيقول: «وأنه (تعالى) لا شبه له من خلقه»[٤].

ويؤكد ابن خفيف هذا في «كتاب الاقتصاد» فيقول: «فأول الرجوع المعرفة بتوحيد الله والتصديق لرسوله، وهو تحقيق إثبات وحدانية الله بكمال أسمائه وصفاته، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[٥]، ويقول أيضًا:

---

(١) ينظر: ملحقات تحقيق د/حسن الشافعي لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٣١٥.

(٢) كتاب الاقتصاد، لابن خفيف ص٢٨٢ (طبعة دار نور اليقين – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م، ت: د/إبراهيم سويلم وزميله).

(٣) المصدر السابق ص٣٢٣.

(٤) المعتقد الصغير ص٢٦٢.

(٥) كتاب الاقتصاد ص٢٨٤.

«وأنه (تعالى) ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تصوير ولا مقايسة ولا مخايلة ولا ممازجة»[١].

وهو نَفْسُ ما ذكره الإمام الأشعري في «لمعه» حيث قال: «فإن قال قائل: لم زعمتم أن الباري سبحانه لا يُشبه المخلوقات؟ قيل: لأنه لو أشبهها لكان حكمه – في الحدث – حكمها، ولو أشبهها لم يَخْلُ: من أن يشبهها من كل الجهات ، أو من بعضها»[٢]، ثم فَنَّد هذين الافتراضين المترتبين على المشابهة بين الله تعالى وبين خلقه.

٢) وينفي ابن خفيف في «معتقده» عن الله تعالى أن يكون جسمًا، فيقول: «ولا هو (سبحانه) جسم»[٣].

ويُفَصِّل ابن خفيف شيئًا ما هذا المعتقد في «كتاب الاقتصاد» فيقول: « وأنه (تعالى) لا يُشَبَّه ولا يوصف بالأعضاء المفصلات ولا بالتراكيب المخترعات، ولا يوصف بالألسنة واللهوات»[٤].

وهي القضية التي تناولها الإمام الأشعري في «اللمع» قائلًا: «فإن قال قائل: لم أنكرتم أن يكون الله تعالى جسمًا؟»[٥]، ثم ذكر الأدلة على تنزيه الله سبحانه عن الجسمية.

٣) وينفي ابن خفيف في «المعتقد الصغير» عن الباري تعالى حلول الحوادث في ذاته عز وجل، فيقول: «وليس (الله تعالى) بمحلٍ للحوادث»[٦]، ولذلك فنزول الله تعالى إلى

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٤.

(٢) اللمع، بتحقيق د/الشافعي ص١١٣.

(٣) المعتقد الصغير ص٢٦٢:٢٦٤.

(٤) كتاب الاقتصاد ص٣٢٤.

(٥) اللمع، بتحقيق د/الشافعي ص١٢١.

(٦) المعتقد الصغير ص٢٦٥.

السماء الدنيا في الأسحار المدلول عليه بالحديث هو عند ابن خفيف - كما قرر في «معتقده الصغير» - نزول «بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال»[1].

وهذه العقيدة المهمة التي يُبنى عليها أصول كثيرة نجد ابن خفيف يُؤكد عليها في كتابه «الاقتصاد»، فيقول: «ولا يُوصَف (تعالى) بالسكون والحركات، ولا بالزوال والتنقيلات»[2].

وهو نَفْسُ المعتقد الذي قرره الإمام الأشعري في «اللمع»، بل نفس جملة ابن خفيف التي ذكرها في «المعتقد الصغير» موجودة في «اللمع»، وذلك في معرض تقرير الإمام الأشعري لكون كلام الله تعالى ليس حادثًا، فيقول ضمن ما قال في هذه القضية: «فيستحيل أن يحدثه (أي: كلام الله تعالى) في نفسه؛ لأنه ليس بمحل للحوادث»[3].

وفي «اللمع» أيضًا فيما يخص هذه العقيدة: «...لأن القديم لا يجوز انتقاله وتغيره، وأن تجري عليه سمات الحدث؛ لأن ما جرى ذلك عليه ولزمته الصنعة، لم ينفك من سمات الحدث، وما لم يسبق المحدَث كان محدَثًا مصنوعًا»[4].

ويقرر الإمام الأشعري في موضع آخر من «اللمع» أن الله تعالى منزه عن الحركة والسكون، فيقول: «فإن عنيتَ: إن لم يُحَرِّك نفسه كان مُسَكِّنًا لها، فهذا خطأ؛ لأنه يستحيل أن يُحَرِّك نفسه»[5]، وذلك ردًّا على من أراد أن يُلزم الأشعري وصف الله تعالى بالسكون وذلك لنفيه أنه سبحانه متحرك.

---

(١) المصدر السابق ص٢٧٦.

(٢) كتاب الاقتصاد ص٣٢٤.

(٣) اللمع بتحقيق د/الشافعي ص١٥٦.

(٤) المصدر السابق ص١١٠، ١١١.

(٥) السابق نفسه ص١٥٣.





وغيرها من المواضع التي استصحب فيها الإمام الأشعري قضية تنزيه الله تعالى عن حلول الحوادث في ذاته عز وجل.

٤) ويقرر ابن خفيف في «معتقده» أن صفات الله تعالى – وكذا أسماؤه – ليست بمخلوقة مما يعني أنها قديمة وليست حادثة، فيقول: «والاسم والصفة ليسا بمخلوقين»[١].

وهو عين ما طرحه الإمام الأشعري واستدل له في «لمعه» تحت سؤال: «فإن قال قائل: أتقولون: إن الله تعالى لم يزل عالمًا قادرًا سميعًا بصيرًا؟»[٢].

٥) وقرر ابن خفيف في «معتقده» أصلًا أصيلًا عند الأشاعرة، وهو أن التحسين والتقبيح مَرَدُّه إلى الشرع، فقال: «والعقل لا يُحَسِّن ولا يُقَبِّح، بل الشرع يُحَسِّن ويُقَبِّح، والشرع حاكم على العقل»[٣].

وهو ما ألمح إليه الإمام الأشعري في «اللمع» بقوله: «لأن الإنسان قد يكون عادلًا بالكون في مكان، إذا أمره الله تعالى أن يكون فيه، ويكون في وقت آخر جائرًا بالكون فيه، إذا نهاه الله تعالى عن الكون فيه، فيكون العدل من جنس الجور؛ لأن الكون في المكان من جنس الكون فيه»[٤].

٦) وفي نفي وجود شيء مع الله تعالى في الأزل يقول ابن خفيف في «المعتقد الصغير»: «ويعتقد أنه (تعالى) كان ولا شيء معه، وأنه عالم ولا معلوم، وقادر ولا مقدور، وراءٍ ولا مرئي، ورازق ولا مرزوق، وخالق ولا مخلوق»[٥].

---

(١) المعتقد الصغير ص٢٧٤.

(٢) اللمع بتحقيق د/الشافعي ص١٢٩.

(٣) المعتقد الصغير ص٣٢٧.

(٤) اللمع بتحقيق د/الشافعي ص١٥٢.

(٥) المعتقد الصغير ص٢٦٨:٢٧٠.

وهو نفس ما قرره الإمام الأشعري في «اللمع» وهو في معرض النقاش حول وصف الله تعالى في الأزل بالمُحَرِّك أو المُسَكِّن، حيث قال: «وإن عنيتَ: إذا لم يكن مُحَرِّكًا فيما لم يزل لجسم، كان مُسَكِّنًا له، فليس مع الله تعالى في قدمه أجسام، فيجب إذا لم يُحَرِّكها أن يسكنها»[١].

٧) وفي قضية رؤية الله تعالى يُطَبِّق ابن خفيف مبادئ التنزيه التي قررها سابقًا فيقول في «المعتقد الصغير»: «ويعتقد أنه تعالى يراه المؤمنون في يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته، من غير إحاطة ولا تحديد إلى حد مستقبل أو مستدبر أو فوق أو تحت أو يمنة أو يسرة»[٢].

وهو عين ما قرره الأشعري في «اللمع» حين قال: «فإن قال قائل: فهل شاهدتم مرئيًا إلا جوهرًا أو عرضًا، محدودًا أو حالًا في محدود؟ قيل له: لا، ولم يكن المرئي مرئيًا لأنه محدود، ولا لأنه حال في محدود، ولا لأنه جوهر، ولا لأنه عرض، فلما لم يكن ذلك كذلك، لم يجب القضاء بذلك على الغائب...»[٣].

٨) وفيما يخص أفعال العباد والسببية يقرر ابن خفيف في «المعتقد الصغير»: «أن الأفعال لله تعالى لا للخلق، والاكتساب للخلق، والاكتساب أيضًا خلق الله لا خلق لهم، وأن الأشياء لا تعمل بطبعها، فلا الماء يروي ولا الخبز يُشبع ولا النار تحرق، بل يُحدث الله تعالى الشبع عند الأكل، والجوع في غير وقت الأكل، وهكذا الشرب من الشارب والري من الله تعالى، والقتل من القاتل والموت من الله تعالى»[٤].

---

(١) اللمع بتحقيق د/الشافعي ص١٥٣.

(٢) المعتقد الصغير ص٢٧٩.

(٣) اللمع بتحقيق د/الشافعي ص١٩٠.

(٤) المعتقد الصغير ص٢٨٢، ٢٨٣.





وهو ما أشبعه الإمام الأشعري بحثًا في «اللمع» تحت أسئلة من قبيل: «إن قال قائل: لِمَ زعمتم أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى»[١]، «فَلِمَ لا دل وقوع الفعل، الذي هو كسب، على أنه لا فاعل له إلا الله، كما دل على أنه لا خالق إلا الله تعالى»[٢]، «فإن قال: فهل اكتسب الإنسان الشيء على حقيقته كفرًا باطلًا، وإيمانًا حسنًا»[٣].

ولا شك أن هذه الأصول العقدية التي توافق فيها ابن خفيف في «المعتقد الصغير» و«كتاب الاقتصاد» مع ما قرره الإمام الأشعري في «اللمع»، هذه الأصول فيها عدم توافق مع تلك المرحلة الثالثة المدعاة للإمام الأشعري؛ إذ ما يُصَوِّرُه مدعو المرحلة الثالثة على أنه معتقد السلف الذي يقولون برجوع الإمام الأشعري إليه، هذا المعتقد المُتَصَوَّر منهم للسلف بمقتضاه:

- الله عز وجل لا يُنفى عنه قيام الحوادث في ذاته، بل الحوادث قائمة بذاته تعالى، وهي عندهم الأفعال الاختيارية القائمة بذاته تعالى من نحو الاستواء والمجيء والنزول والتكلم، وهذه الأفعال آحادها حادث ونوعها قديم، ويصطلحون عليها بمصطلح «الصفات الاختيارية»[٤].

- والله عز وجل لا يُنزه مطلقًا عن التشبيه مع مخلوقاته، فعندهم ما من شيئين إلا يشتبهان من وجه ويفترقان من وجه، والمنفي عن الله تعالى مطلقًا هو التمثيل[٥].

---

(١) اللمع بتحقيق د/الشافعي ص١٩١.

(٢) المصدر السابق ص١٩٥.

(٣) السابق نفسه ص١٩٧.

(٤) ينظر مثلًا: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج٦ ص٢٢٠، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ج١ ص٩٧ (طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة العاشرة سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ت: شعيب الأرنؤوط وزميله)، ومنهج الأشاعرة في العقيدة تعليقات على مقالات الصابوني، لسفر الحوالي ص٣٦.

(٥) ينظر مثلًا: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج٣ ص٧٤، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ج١ ص٦٢، وشرح العقيدة الطحاوية، لعبد الرحمن البراك ص٣١ (طبعة دار التدمرية، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

- وتنزيه الله تعالى عن الجسمية ليس هكذا على إطلاقه، لأنهم يقولون بأن الألفاظ التي من قبيل الجسم والجوهر والجهة، هي ألفاظ مجملة، والأشاعرة وغيرهم من المنزهة يريدون منها تعطيل بعض صفات الرب جل وعلا(١).

- والله جل وعلا ليس متفردًا في قدمه بالوجود، بل لا يزال الله تعالى ومعه بعض موجوداته، وهذه عندهم تسمى مسألة القدم النوعي للمخلوقات(٢).

- والحسن والقبح ليسا شرعيين مطلقًا، فالمسألة عندهم فيها تفصيل(٣).

- ولا يُنفى عن الأسباب التأثير، والكسب على النحو الذي يفسره الأشاعرة يلزم منه عندهم الجبر(٤).

- وإثبات الرؤية لله تعالى لا تكون بغير جهة ومقابلة(٥).

---

(١) ينظر مثلًا: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج١٧ ص٣٠٤، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين ج١ ص٤٥٨ (طبعة دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة السادسة سنة ١٤٢١هـ)، والأشاعرة في ميزان أهل السنة، لفيصل الجاسم ص٣٩٦ (طبعة المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة – الكويت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

(٢) ينظر مثلًا: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ج٢ ص١٤٨ (طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية، الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ت: د/محمد رشاد)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ج١ ص١٠٥، ١٠٦، وشرح العقيدة الطحاوية، للبراك ص٦٠.

(٣) ينظر مثلًا: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج٨ ص٤٣٤:٤٣٦، ومنهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني، لسفر الحوالي ص٤٩.

(٤) ينظر مثلًا: منهاج السنة، لابن تيمية ج٣ ص١٠٩ (طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ت: محمد رشاد)، ومنهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني، لسفر الحوالي ص٤٣، والأشاعرة في ميزان أهل السنة، لفيصل الجاسم ص٧٥٥.

(٥) ينظر مثلًا: بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية ج٤ ص٤٣٠ (طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ، ت: مجموعة من المحققين)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ج١ ص٢١٩، والقول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين ج٢ ص١٢٩ (طبعة دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤هـ).

**وأما الأمر الآخر الذي من خلاله يدلل البحث على رجحان أن «اللمع» هو المصور النهائي لمنهج الأشعري وهو ارتضاء ابن خفيف «اللمع» ليكون هو الكتاب الذي يؤسس ويربي عليه تلامذته ومريديه:**

فاهتمام ابن خفيف بـ«اللمع» لم يكن مجرد الاقتفاء على أثره والسير على خطاه في ذلك المتن الذي يُصَوِّر معتقد أهل السنة في زمانه ومن قبله وهو «المعتقد الصغير» وكذا في الفصل الذي خصصه للإخلاص في التوحيد من كتابه «الاقتصاد».

بل إن ابن خفيف ارتضى «اللمع» ليكون هو الكتاب الذي يُرَبِّي عليه طلابه ومريديه في شيراز، نفهم هذا مما نقله صاحب «أزهار الرياض»، حيث ذكر أن القاضي الباقلاني[1] كان قد ذهب إلى شيراز ممثلًا عن مذهب أهل السنة ليدافع عنه في مجلس للمناظرة أَعَدَّه ملك البلاد وقتذاك، وقد التقى الباقلاني في هذه الرحلة بابن خفيف وهو يُدَرِّس لطلابه «اللمع».

نترك صاحب «أزهار الرياض» لِيَقُصَّ علينا وقائع هذا اللقاء: «قال القاضي أبو بكر بن الطيب (الباقلاني): فخرجتُ إلى شيراز، فلمّا دخلتُ المدينة استقبلني ابن خفيف في جماعة من الصوفية وأهل السُّنة، فلمّا جلسنا في موضع كان ابن خفيف يُدارس فيه أصحابه «اللمع» للشيخ أبي الحسن الأشعري، قال له القاضي أبو بكر: تَمَادَ على التدريس كما كنتَ، فقال له ابن خفيف: أصلحك الله إنما أنا بمنزلة المُتَيَمِّم عند عدم

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، المعروف بالباقلاني، المتكلم المشهور، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، وُلِد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد فتُوفي فيها سنة ٤٠٣هـ، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وجَّهه عضد الدولة سفيرًا عنه إلى ملك الروم، فَجَرَتْ له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، من كتبه: «إعجاز القرآن»، و«تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل». (ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ج١٣ ص١١، والأعلام، للزركلي ج٦ ص١٧٦).

الماء، فإذا وُجِدَ الماء فلا حاجة إلى التيمم، فقال له القاضي: جزاك الله خيرًا وما أنت بمتيمم، بل لك وافر من هذا العلم، وأنت على الحق والله ينصرك»[١].

إن هذا النقل النفيس ليدل دلالة قوية – إضافة لكون «المعتقد الصغير» هو تعليقة على «اللمع» أو من وحيه- على أن «اللمع» هو المُصَوِّر النهائي لمنهج الإمام الأشعري في الاعتقاد؛ فابن خفيف لا يُظن به أنه يرتضي منهجًا لطلابه ومريديه إلا إذا كان واثقًا تمام الثقة أنه هو ما يُعبر عن شيخه الأشعري الذي «تعلّق بأهدابه، لخصائص آدابه، ونافس في مصافاته، لنفائس صفاته، ولبث معه برهة، يستفيد منه في كل يوم نزهة، ويدرأ عن نفسه للمعتزلة شبهة»[٢].

ونقطة لافتة أيضًا في هذا النقل النفيس من صاحب «أزهار الرياض»، ألا وهي أن هذا النقل يُثبت أن القاضي الباقلاني التقى بتلميذ للأشعري ورآه وهو يعرض الأشعري كما يُصوره «اللمع»، فإذا كان دعاة المرحلة الثالثة للإمام الأشعري يقولون بأن طبقة الباقلاني كان معها بداية الحَيْد عن طريق الأشعري الذي انتهى إليه، فها نحن معنا حلقة الوصل بين الأشعري وبين الطبقة التي ادُّعِيَ عليها بداية الحيد هذا، وها هي تلك الحلقة تُعْلِنُ عن الأشعري بأنه أشعري «اللمع».

كما أن لدينا نقلًا آخر يُثبت التقاء ابن خفيف بأحد أعيان طبقة الباقلاني وهو ابن فورك صاحب «المجرد» الذي قَدَّم صورة عن الأشعري تتوافق تمامًا مع صورة «اللمع»[٣]، يقول ابن فورك: «قلتُ يومًا لأبي عبد الله بن خفيف: ما معنى الفناء والبقاء؟ قال: مجموع معناه إنما يراد بذلك عندنا فناء الصفات المذمومة وبقاء الصفات

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للمقري التلمساني ج٣ ص٨٠ (طبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩م، ، ت: مصطفى السقا وزميله).

(٢) ينظر: نهاية المرام في دراية الكلام، لضياء الدين الرازي ل٣٨٣/أ، ويراجع: طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص١٦٣.

(٣) مقدمة د/حسن الشافعي لتحقيقه لكتاب «اللمع» للإمام الأشعري ص٨٦.





المحمودة، بأن يرتفع الجهل ويحصل بدله العلم، والغفلة ويحصل بدلها الفطنة، ونحو ذلك»[1].

نعم، هذا النص يُثبت أن النقاش بين ابن خفيف وبين ابن فورك جرى حول قضية في التصوف، لكن من خلال هذا النص يمكننا القول بأن اللقاء بين ابن فورك وبين ابن خفيف لم يكن لقاءً عابرًا، بل لعلها لقاءات أو لعله عايشه فترة من الزمن، لاحظ قول ابن فورك «قلتُ يومًا لأبي عبد الله بن خفيف»، فهذا _ كما يظهر للمتأمل _ قد يُفهم منه أنه كانت له معه أيام أخرى غير هذا اليوم الذي جرى فيه هذا السؤال والجواب، ومن المؤكد أن لقاءً أو لقاءات بين ابن خفيف وابن فورك لن تخلو من مناقشات حول أمور عقدية لا يُتصور غياب الإمام الأشعري بآرائه عنها.

وعلى كلٍ، فالتقاء الباقلاني بابن خفيف وهو يدارس أصحابه «اللمع» يعطينا أرجحية لكون «اللمع» هو الصورة التي انتهى إليها الأشعري في منهجه.

**المطلب الثالث: تراث ابن خفيف يثبت أنه لا منافاة بين «اللمع» و«الإبانة»:**

سبق في المطلب السابق أن أثبت البحث أن «المعتقد الصغير» فيه نَفَسُ الإمام الأشعري في «اللمع»، وبعض عباراته، وأن الأفكار فيهما متطابقة خاصة تلك التي تُمَيِّز المدرسة الأشعرية على مرّ طبقاتها.

فإذا ما أثبتنا مع هذا أن «المعتقد الصغير» يتوافق أيضًا مع «الإبانة»، فتكون نتيجة هذا أن «المعتقد الصغير» جامع بين «اللمع» و«الإبانة»، مصالح بينهما عند من ظن أن بينهما خصامًا، وبنى على هذا صورة متخيلة للإمام الأشعري في «الإبانة» تخالف صورته في «اللمع».

---

(١) الإبانة عن طرق القاصدين والكشف عن مناهج السالكين، لابن فورك ص٢٥٩ (طبعة استنابول سنة ٢٠١٤م، ت: أحمد يلديرم وزميله).

وإذا كان ذلك كذلك، فما الذي يدل على الوئام والتوافق بين «المعتقد الصــغير» و«الإبانة»؟

ليس أدل على هذا من أن «المعتقد الصــغير» قد حوى ضــمن عقيدة ابن خفيف التي رواها عن أهل الســنة والجماعة في زمانه ومن قبل زمانه إثباتَ الصــفات الخبرية، تلك القضــية التي ســكت عنها «اللمع»، لكنها كانت محورًا أصــيلًا من محاور «الإبانة»، ومُسْـتَنَدًا أسـاسـيًا لمدعي المرحلة الثالثة للإمام الأشـعري، يقول ابن خفيف في «المعتقد الصــغير»: «ويعتقد أنه (تعالى) على عرشــه اســتوى، وأنه ينزل إلى ســماء الدنيا عند الأسـحار، بمعنى الصــفة لا بمعنى الانتقال، وأنه خلق آدم ع بيده لا بيد قدرته، بل بيد صفته، وهكذا جميع الأخبار الصحيحة التي رويت في الصفات، يعتقده إيمانًا وتسليمًا لا مقايسة ولا مفاتشة»[1].

ونحب أن نشــير إلى أن إثبات ابن خفيف هنا للصــفات الخبرية هو إثبات لها وفق أصول الأشاعرة منذ شيخهم ومرورًا بالطبقات اللاحقة عليه، تلك الأصول التي قدمها في «معتقده الصــغير» قبل هذا الإثبات للصــفات الخبرية، من تنزيه لله تعالى عن حلول الحوادث في ذاته، وتنزيهه عز وجل عن الجســمية بكل لوازمها، وهي الأصــول التي توافق فيها تمام الموافقة مع «اللمع».

وابن خفيف لا يكتفي بتقديم تلك الأصـول قبل إثبات الصـفات الخبرية لنفهمها في ضـوئها، بل إنه يُضَـمِّن إثباته هذا ما يزيل عن المُعْتَقِد أيَّ شـوائب للتشـبيه قد تعلق في ذهنه، لاحظ:

- قوله عن النزول: «بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال».

---

(١) المعتقد الصغير، لابن خفيف ص٢٧٦، ٢٧٧.

- وقوله عن الصفات الخبرية عمومًا: «يعتقده إيمانًا وتسليمًا لا مقايسة ولا مفاتشة».

- وقوله في موضع آخر عن الرؤية: «من غير إحاطة ولا تحديد إلى حد مستقبل أو مستدبر أو فوق أو تحت أو يمنة أو يسرة»[١]، لنفهم في ضوئها استواء الله تعالى على عرشه وعلوه عز وجل على خلقه، دون أيّ شائبة تجسيم أو تشبيه.

ولا يغفل ابن خفيف هذه الأصول التنزيهية في كتابه المفقود الذي نقل منه ابن تيمية بعض النصوص، أعني كتاب «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، حيث يقول في معرض إثباته للخُلّة والمحبة من الصفات الخبرية: «والخُلّة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه (تعالى) تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخُلّة جائز عليهم الكيف»[٢].

ثم يُعطي ابن خفيف بعد هذا قاعدة عامة للصفات الخبرية فيقول: «وأما صفات الله تعالى فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنها التشبيه، فالإيمان واجب وحسم الكيفية عن ذلك ساقط»[٣].

وهذا الأقوال تدل دلالة واضحة على أن المطلوب من العبد تجاه هذه الصفات الخبرية - بعد تنزيه الله تعالى عن حلول الحوادث في ذاته وعن الجسمية بلوازمها من الجهة والحد والكيفية وما إلى ذلك -، المطلوب منه أن يؤمن بتلك الصفات ولا يقيسها على صفات المخلوقات، ولا يفتش عن معناها بل يُفَوِّض الأمر فيه لله تعالى.

وهذا الإثبات للصفات الخبرية من ابن خفيف وفق هذه الأصول التنزيهية الخالصة، نجد له إشارات في «الإبانة» نفسها، فمثلًا يقول الإمام الأشعري: «تقدس

---

(١) المصدر السابق ص٢٧٩.

(٢) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية ص٤٥٨.

(٣) المصدر السابق ص٤٥٨، ٤٥٩.




(سبحانه) عن ملابسة الأجناس والأرجاس، ليست له صورة تُقال، ولا حد يُضرب له مثال»[١]، ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأنه مستوٍ على عرشه سبحانه بلا كيف ولا استقرار»[٢].

وهذه الأصول التنزيهية تظهر عند الإمام الأشعري بصورة أكثر وضوحًا في «رسالة أهل الثغر»، حيث قال:«والباري عز وجل لا تجب مفارقة صفاته له من قِبَل أن في مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الإلهية، وهذا يستحيل عليه أن يكون تغيير الباري عز وجل جسمًا أو جوهرًا، أو محدودًا، أو في مكان دون مكان، أو غير ذلك»[٣]، ويقول أيضًا: «وليس مجيئه (تعالى) حركة ولا زوالًا، وإنما يكون المجيء حركة وزوالًا إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة»[٤]، ويقول طيب الله ثراه: «وليس نزوله تعالى نقلة؛ لأنه ليس بجسم ولا جوهر»[٥].

كما أن هذا الإثبات من الإمام الأشعري للصفات الخبرية وفق هذه الأصول التنزيهية يتفق مع حكاه ابن فورك عن الأشعري في هذا الصدد، يقول ابن فورك: «فأما ما يَثْبُتْ من طريق الخبر، فلا يُنكر (أي: الأشعري) أن يَرِدَ الخبر بإثبات صفات له تُعتقد خبرًا، وتُطلق ألفاظها سمعًا، وتُحَقَّق معانيها على حسب ما يليق بالموصوف بها، كاليدين، والوجه، والجنب، والعين، لأنها فينا جوارح وأدوات، وفي وصفه نعوت وصفات، لما استحال عليه التركيب والتأليف، وأن يوصف بالجوارح والأدوات»[٦].

---

(١) الإبانة، للإمام الأشعري ص٧.

(٢) المصدر السابق ص١١٦، ١١٧.

(٣) رسالة إلى أهل الثغر، للإمام الأشعري ص١٣٦ (طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، سنة ١٤٤٠هـ – ٢٠١٨م، ت: د/محمد الجليند).

(٤) المصدر السابق ص١٣٩.

(٥) السابق نفسه ص١٣٩، ١٤٠.

(٦) مجرد مقالات الأشعري، لابن فورك ص٤٠.

وهكذا تتضافر إشارات الأشعري في «الإبانة» و«رسالته إلى أهل الثغر» عن الأصول التنزيهية التي أثبت على وفقها الصفات الخبرية، مع ما نقله ابن فورك عن الأشعري في هذا الصدد، مع تصريحات ابن خفيف في «المعتقد الصغير»، وما نقله ابن تيمية عنه من كتابه الموسوم «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، تتضافر جميعًا على أن الأشعري في إثباته للصفات الخبرية لم يخالف الأصول التي هي في «اللمع» والتي عليها الأشاعرة على مرّ طبقاتهم.

ولا شك أن هذا الإثبات للصفات الخبرية وفق هذه الأصول التنزيهية يختلف عن إثبات مدعي المرحلة الثالثة من «السلفية» لهذه الصفات؛ إذ إنهم ينازعون في أصول التنزيه المذكورة آنفًا، فهم مثلًا يُثبتون استواء الله تعالى على عرشه وعلوه عز وجل على خلقه مع كون هذا الاستواء والعلو بجهة وحد واستقرار على العرش[١]، ويُثبتون النزول مع كونه حركة وانتقالًا[٢]، ويُثبتون العين والوجه والساق وما هو من قبيلها على أنها صفات أعيان لا معاني[٣]، كما أن الصفات عندهم مُكَيَّفة بكيف، غاية ما في الأمر أن هذا الكيف لا نقف عليه[٤].

---

(١) ينظر مثلًا: بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية ج٣ ص٤٦٦، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ج٢ ص٣٨٨، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين ج١ ص٣٧٥.

(٢) ينظر مثلًا: الاستقامة، لابن تيمية ج١ ص٧٦ (طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ، ت: محمد رشاد)، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين ج٢ ص١٥، ١٦، والأشاعرة في ميزان أهل السنة، لفيصل الجاسم ص١٩٩.

(٣) ينظر مثلًا: بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية ج١ ص٣٣٠، ٣٣١، وشرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين ج١ ص١١٧.

(٤) ينظر مثلًا: الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية ص٣٠٦ ، والقواعد المثلى، لابن عثيمين ص٥٢، والأشاعرة في ميزان أهل السنة، لفيصل الجاسم ص٢٣٥.

ويتحصل مما سبق: أن إثبات الأشعري للصفات الخبرية في «الإبانة» ليس مبررًا للقول بأن هناك خصومة بينه وبين «اللمع»، بل بينهما وفاق في الأصول، وعليه تسقط دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري اعتمادًا على إثباته للصفات الخبرية في «الإبانة».

وختامًا لهذا المطلب أقول: إن هذه الحقيقة التي أثبتها البحث من خلال تراث ابن خفيف، وهي عدم التعارض بين «اللمع» و«الإبانة»، وهو ما لا يوافق عليه مدعو المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من «السلفية»، تلك الحقيقة يوافق عليها ابن تيمية نفسه، حيث يقول: «وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كـ«الإبانة» و«الموجز» و«المقالات» وغيرها»[١].

مع الأخذ في الاعتبار أن ابن تيمية يعتبر طريقة ابن كلاب التي سلكها الأشعري بعد انتقاله من الاعتزال هي طريقة فيها «تجهم» وبقايا «اعتزال»[٢]!! وهذا يعني أنها طريقة ليست على وفاق تام مع ما يعتقده هو مذهبًا للسلف ويدعي متابعوه من «السلفية» رجوع الإمام الأشعري إليه بعد مرحلة الكلابية.

---

(١) در تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ج٢ ص١٦، وقد نَصَّ ابن تيمية على هذا في مواضع كثيرة من كتبه، يراجع في هذا الصدد: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن المحمود ج١ ص٣٩٤:٣٩٧ (طبعة مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

(٢) ينظر: در تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ج٢ ص١٨.

## المطلب الرابع: تراث ابن خفيف يؤكد على أنه لا تعارض بين مدرسة أهل الحديث وبين نُظَّار أهل السنة:

يحاول البحث في هذا المطلب أن يُثبت من خلال تراث ابن خفيف أنه ليس ثمة تعارض بين أهل الحديث ونُظَّار أهل السنة ومتكلميهم، وعلى رأسهم الأشعري، بل العلاقة بينهما علاقة تعاضد[(١)].

وإذا ما ثبت هذا الذي ذُكِر لم يَعُدْ هناك مجال للقول بأن الإمام الأشعري ترك معتقد النُّظَّار والمتكلمين أمثال ابن كلاب واعتقد اعتقادًا مغايرًا له وهو معتقد أهل الحديث والسلف – بحسب كلام أصحاب دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري -.

وما يُثبت هذا الذي نقوله من خلال تراث ابن خفيف، هو بعض النصوص من كتابه «الاقتصاد»، ووصيته للمريدين، وبعض ما نقله عنه المترجمون.

فابن خفيف في كتابه «الاقتصاد»، ذلك الكتاب الذي سطره للمبتدئين من الصوفية وضَمَّنَه فصلًا عن «الإخلاص في التوحيد» تبدو فيه الأصول الأشعرية واضحة جدًا، على ما سبق بيانه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

أقول: إن ابن خفيف – الأشعري المخلص لأشعريته في كتابه «الاقتصاد»- نجده في نفس الكتاب يدعو المريدين إلى الأخذ من أهل الحديث، حيث يقول: «وعليك بمنهج

---

(١) أَكَّدَ غير واحد من العلماء المتقدمين على قضية ائتلاف نُظَّار أهل السنة مع أهل الحديث المشتغلين بالرواية وتوافقهم معهم في الأصول، وأن الاختلاف بينهما إنما هو اختلاف مسالك، ومن هذا قول ابن فورك في مفتتح كتابه «مجرد مقالات الإمام الأشعري»: «واعلموا – رحمكم الله – أن الذي حكيناه في هذا الكتاب من مقالات الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري $ فهو ما عليه نُظَّار أصحاب الحديث، وجعل ذلك مما هي قواعد دينهم، وأساس توحيدهم، وما يتفرع عن أصولهم...ولكنه لما كان أصحاب الحديث نوعين، ففريق اشتغل بالرواية، وفريق اشتغل بالنظر والجدل مع المخالفين في تأييد المذهب وتوهين ما خالفه، كان ما حدث من التفريع على مذاهبهم مما يختص به أهل النظر». (مجرد مقالات الإمام الأشعري ص٣، ٤، ويراجع: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر ص٢٥٧، وفهرسة اللبلي ص٧٤).

أصحاب الحديث والأخذ من فقهائهم، والتعلُّق بآثارهم، والبحث والطلب عن مذاهبهم، والكشف عن صحة روايتهم، والنزول في أحوالهم»[١].

وهذا الحث من ابن خفيف على التعلق بأهل الحديث جاء بعد تحذيره للمريد من «مجالسة النُّظَّار من أهل الزمان والموسوسين بالمجادلة...ولا يهولنّك فصاحتهم في المناظرات والمقالات، وإظهار البراعة ورفع الأصوات، وقطع الخصماء في المجالس، فإن ذلك خارج من النصيحة طلبًا للرئاسة والوصول إلى الدنيا الدنيّة»[٢].

ولا ينبغي أن يُفهم هذا على أنه نكوص من ابن خفيف على النظر مطلقًا وقطيعة معه، لا، غاية ما في الأمر أنه يُحَذِّر من النُّظّار الذين هم بهذه الصفات المذمومة التي ذكرها، فهو لا يمنع النظر والاستدلال مطلقًا، بل على العكس يحث عليه إذا تطلبه الأمر، فهو نفسه في وصيته القصيرة للمريدين التي فيها زبدة مذهبه الصوفي يقول في الوصية السابعة عشر: «ألا يناظر جبريًا، ولا قدريًا، ولا معتزليًا، ولا رافضيًا، ولا أحدًا، إلا ما لا بد منه»[٣].

وعليه فلا يُفهم من تحذيره من النُّظَّار والمتكلمين رفضه لمسلك أهل النظر، وإلا فهو هو بعد حَثِّه على سلوك مسلك أهل الحديث إذ به يُحَذِّر من «المفتون منهم، والمغرور من جملتهم، فإنهم أعزّ الناس إذا سلكوا منهاج أوائلهم، وأفتن الناس إذا فسدوا، فبهم تهلك الأمة وتهلك الشريعة، فاجعل أوصاف المتقدمين معيارهم، فمن وجدتَه لعلمهم مُسْتَعْمِلًا، ولأوصاف مذهبهم مُتَّبِعًا، ولأبواب السّلاطين قاليًا، ولترك حطام ما في أيديهم تاركًا، وللطمع فيهم ساليًا، وللغدوّ والرواح إلى أبوابهم مهاجرًا، ومنهم فارًّا، ولقربهم غير مريد، وإليهم غير مُتَعرِّف، فتمسَّك به»[٤].

---

(١) كتاب الاقتصاد، لابن خفيف ص٤٠٩.

(٢) المصدر السابق ص٤٠٦.

(٣) وصية ابن خفيف للمريدين، ضمن ملحقات «سيرة الشيخ الكبير» ص٣٣٣.

(٤) كتاب الاقتصاد، لابن خفيف ص٤٠٩، ٤١٠.

وبهذا يتبين أن ابن خفيف يُحَذِّر من أهل الحديث الذين اتخذوا من طلب الحديث وسيلة لطلب الدنيا، كما حَذَّر من قبل من النُّظَّار الذين هم بتلك الصفة.

ثم إنه يَقبل أهل الحديث إذا لم يكن غرضهم دنيويًا، ويقبل النُّظَّار إذا أخلصوا في نظرهم وجدالهم وكان هناك ضرورة لهذا النظر والجدال، وهذا الأمر كان من أُولى التعاليم التي استفادها من شيخه الأشعري في أول لقاء جمعهما، فقد استفسر منه ابن خفيف عن سبب عدم مبادءته للمتناظرين بالكلام فقال الأشعري: «أنا لا أتكلم مع هؤلاء ابتداءً، ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله رددنا عليهم بحكم ما فرض الله علينا من الردّ على مخالفي الحق، وعلى هذه الجملة سيرة السلف أصحاب الحديث، المتكلمين منهم في الرد على المخالفين وأهل الشبه والزيغ»[1].

وما يهمنا في هذا المقام هو أن أهل الحديث والنُّظَّار من أهل السنة وعلى رأسهم الأشعري يأتلفون ويتعاضدون، كما استنبطنا ذلك من خلال تراث ابن خفيف تلميذ الأشعري المخلص لشيخه، الأمين في نقل مذهبه، وهو الأمر الذي يساعدنا في تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى، للتاج السبكي ج٣ ص٤٠٢، ويراجع: سيرة الشيخ الكبير، للديلمي ص١٧٢:١٧٤.

## الخاتمة

بعد أن أَتَمَّ الله تعالى عليّ هذا البحث أقوم بتسجيل أهم ما توصلتُ إليه من نتائج، وهي كالتالي:

١) ابن خفيف الشيرازي هو تلميذ من تلامذة الإمام الأشعري تَمَّ العثور له على تراث يمكن توظيفه في تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري.

٢) ما يُمْكِنُ توظيفه في تفنيد دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري من تراث ابن خفيف هو بعض النصوص من: «المعتقد الصغير»، و«كتاب الاقتصاد»، و«الوصية للمريدين»، و«المقامة الشيرازية»، وما نقله ابن تيمية من كتاب ابن خفيف «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات»، وبعض ما نُقِلَ عنه في كتب التراجم.

٣) فحوى دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري أنه مَرَّ بمرحلة وسط بين الاعتزال والتسنن، وكان فيها متابعًا لابن كلاب، وأن مرحلته السُّنِّيَّة الأخيرة يمثلها كتاب «الإبانة» وليس «اللمع».

٤) تَنَوَّعَتْ الردود على دعوى المرحلة الثالثة للإمام الأشعري ما بين مُنْكِر لكون «الإبانة» من مؤلفات الأشعري أصلًا، ومِن مُعْتَرِف بكونها من مؤلفاته لكنها تعرضتْ للتحريف، ومِن مُهْتَم ببيان تأخر «اللمع» في التأليف على «الإبانة» مع عدم التعارض بينهما، ومن قائل بأنه لا خلاف في الأصول بين «اللمع» و«الإبانة» والخلاف إنما هو في المنهج ولا داعي لسؤال أيّهما أسبق، ومِن مُبَيِّن لكون اكتشاف مخطوطة «مجرد مقالات الأشعري» لابن فورك فيه الردّ الحاسم على كون الصورة التي يُقَدِّمُها «الإبانة» هي فقط التي تمثل الأشعري.

٥) هناك تطابق في الأصول بين «اللمع» للأشعري وبين «المعتقد الصغير» لابن خفيف الذي أَلَّفَه لِيُدَوِّنَ فيه معتقد أهل السنة في زمانه ومن قبله، وهذا التطابق حاصل أيضًا

مع «كتاب الاقتصاد» لابن خفيف الذي أَلَّفَه للمبتدئ من المريدين، كما أن ابن خفيف اختار «اللمع» ليكون هو الكتاب الدرسي في العقيدة الذي يعلمه لتلامذته، وهي الأمور التي تفيد رجحان أن «اللمع» هو المُصَوِّر النهائي لمنهج الأشعري في الانتصار لمذهب أهل السنة، خلافًا لمدعي المرحلة الثالثة للإمام الأشعري في زعمهم أن الأشعري رجع في آخر عمره عن ما قرره في «اللمع».

٦) أثبت ابن خفيف في «المعتقد الصغير» الصفات الخبرية، تلك الصفات المُثْبَتَه في «الإبانة» والمسكوت عنها في «اللمع»، لكن ابن خفيف أثبتها وفق الأصول الأشعرية التي قررها الأشعري في «اللمع»، وعليه يكون «المعتقد الصغير» شاهدًا بأنه لا منافاة بين «اللمع» و«الإبانة»، تلك القضية التي كانت مستندًا لمدعي المرحلة الثالثة للإمام الأشعري.

٧) دعا ابن خفيف مريديه في كتابه «الاقتصاد» - الذي أَصَّلَ فيه للاعتقاد بأصول أشعرية خالصة - إلى الأخذ من أهل الحديث والتعلق بآثارهم، مما يدل عنده على أنه لا يرى تنافرًا بين أهل الحديث والنُّظَّار من أهل السنة، بل العلاقة بينهما علاقة تعاضد، وهذا يعني سقوط الزعم بأن الإمام الأشعري ترك معتقد النُّظَّار من أهل السنة إلى معتقد مغاير له وهو معتقد أهل الحديث.

## فهرس بأهم المصادر والمراجع

- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، طبعة دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ت: د/فوقية حسين.

- أبو الحسن الأشعري، د/حمودة غرابة، طبعة مجمع البحوث الإسلامية، طبعة سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد، المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، طبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩م، ، ت: مصطفى السقا وزميله.

- إشارات المرام من عبارات الإمام، كمال الدين أحمد بن سنان الدين البياضي الرومي (ت: ١٠٩٧هـ)، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، زمزم ببلشرز، ت: الشيخ يوسف عبد الرازق، وتقديم: الشيخ الكوثري.

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر سنة ٢٠٠٢م.

- الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة نحو وسطية إسلامية جامعة «أعمال الملتقى العالمي الخامس لرابطة خريجي الأزهر الشريف سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م»، طبعة مركز الأزهر للتأليف والترجمة – القاهرة، دار القدس العربي – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٤م.

- أهل السنة والجماعة، الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، طبعة دار القدس العربي – القاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

- أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم، حمد السنان وفوزي العنجري، طبعة دار الضياء، بدون.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت، عني بتصحيحه: محمد بالتقايا وزميله.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ، ت: مجموعة من المحققين.

- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، طبعة دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣م، ت: د/بشار معروف.

- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ت: د/بشار معروف.

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، ومعه مقدمة وتعليقات الشيخ الكوثري، طبعة دار التقوى – دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م، خدمه: أنس الشرفاوي.

- تذكرة الأولياء، فريد الدين العطار النيسابوري (ت: بين عامي ٦١٨هـ و٦٢٧هـ)، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٩م، ترجمة وتقديم: د/منال اليمني.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، طبعة السعادة بجوار محافظة مصر، سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

- درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية، الطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ت: د/محمد رشاد.

- رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، سنة ١٤٤٠هـ – ٢٠١٨م، ت: د/محمد الجليند.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

- سيرة الشيخ الكبير أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي، أبو الحسن علي بن محمد الديلمي، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية «تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية» – القاهرة، سنة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، ترجمها إلى الفارسية: ركن الدين يحيى بن جنيد الشيرازي، وحققها: آنا ماريا شميل، وأعاد ترجمتها إلى العربية لفقد النص العربي وترجم مقدمتها من التركية: د/إبراهيم الدسوقي شتا.

- شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار، معين الدين أبي القاسم جنيد الشيرازي (ت: كان حيًا ٧٩٠هـ)، طبعة مطبعة المجلس – طهران، سنة ١٣٦٨هـ، ت: محمد قزويني وعباس إقبال.

- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ)، طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة العاشرة سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ت: شعيب الأرنؤوط وزميله.

- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ، طبعة هجر للطباعة، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ، ت: د/محمود الطناحي وزميله.

- طبقات الصوفية ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت: ٤١٢هـ)، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ت: مصطفى عطا.

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ، طبعة دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ت: خليل شحادة.

- الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، طبعة دار الصميعي – الرياض، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ت: د/حمد التويجري.

- كتاب الاقتصاد، الشيخ الكبير أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١هـ)، طبعة دار نور اليقين – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م، ت: د/إبراهيم سويلم وزميله.

- كشف الظنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، طبعة مكتبة المثنى – بغداد، سنة ١٩٤١م.

- اللمع، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، طبعة مجلس حكماء المسلمين، الطبعة الثانية سنة ١٤٤٣هـ-٢٠٢٠م، ت: د/حسن الشافعي.

- اللمع، الإمام الأشعري، مطبعة مصر، طبعة سنة ١٩٥٥، ت: د/حمودة غرابة.

- مجرد مقالات الأشعري، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني (ت: ٤٠٦هـ)، طبعة مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، ت: د/أحمد السايح.





- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، طبعة مجمع الملك فهد سنة ١٩٩٥م، ت: عبد الرحمن بن محمد قاسم.

- مذاهب الإسلاميين «المعتزلة – الأشاعرة – الإسماعيلية – القرامطة – النصيرية»، د/عبد الرحمن بدوي، طبعة دار العلم للملايين، سنة ١٩٩٧م.

- معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت: ١٣٧٧هـ)، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ت: عمر بن محمود.

- المعتقد الصغير، الشيخ الكبير أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١هـ)، طبعة دار الرازي – القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٤هـ - ٢٠٢٢م، ت: د/إبراهيم سويلم وزميله.

- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، طبعة مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- منهج الأشاعرة في العقيدة تعقيب على مقالات الصابوني، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، طبعة الدار السلفية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

- موسوعة المستشرقين، د/عبد الرحمن بدوي، طبعة دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٣م.

- نشأة الأشعرية وتطورها، د/جلال موسى، طبعة دار الكتاب اللبناني – بيروت، بدون.

- نظرة علمية في نسبة كتاب «الإبانة» جميعه إلى الإمام الجليل ناصر السنة أبي الحسن الأشعري، الشيخ وهبي سليمان غاوجي، طبعة دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- نهاية المرام في دراية الكلام، ضـياء الدين أبو القاسـم عمر بن الحسـين بن الحسـن المشهور بخطيب الري (ت: ق٦هـ)، تحت إشراف: مركز بژهشي ميراث مكتوب، ومؤسسه مطالعات اسلامى دانشـنـگاه آزاد برلين، تهران ١٣٨٩ هــ ش، تقديم وفهرسة باللغة العربية: أيمن شحادة.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية – استانبول، سنة ١٩٥١م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شـمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ)، طبعة دار صادر – بيروت، سنة ١٩٧٠م، ت: إحسان عباس.



****